



هكذا قد مر الكلام !!..

‘جميل الرويالي‘

هذه مجموعة من كتاباتي تم الاقتصار عليها لكي لا يطول الكتاب .

جميل الرويلي على تويتر : @yatmz  
الإيميل : [ibn.sabeeh@gmail.com](mailto:ibn.sabeeh@gmail.com)

الإهداء

إلى صديقي الإنترنتي الوفي ..

يوسف عايض الشيتي

@ssh59

الذي شجعني على جمع المقالات و تطوع بذلك  
كل الشكر و الامتنان .

" جميل "

11 - ربيع الأول - 1434 هـ

(\*)

## العقل ليس دجاجة

لا يمكن أن تشعر بحجم ما لديك ...  
إلا إن علمت حجم ما ينبغي لذلك الذي بين يديك أن يكون!!  
و لا يمكن أن تعرف السبيل إلى ما وراء الآن...  
إلا إن عرفت حق المعرفة حجم هذا الآن بالنسبة لآونة قادمة من بعده ...!!...  
ولا يمكن أن تشعر بحجم عقلك ! ..  
إلا إن علمت حق العلم حجم ما لديك من حقيقة...  
بالنسبة لما ينبغي أن تكون الحقيقة عليه !!...  
ولا يمكن أن تتخطى هذه المرحلة طالما أنك ترى أنها هي الأفضل ...  
على الرغم من أن هناك مراحل كثيرة سوف تليها رغماً عن أنفك !!...  
ومع هذا أنت تتجاهلها ...  
و تقبل بهذا الذي بين يديك على ما هو عليه ....  
وكثيرة هي اللحظات التي ندرك فيها أشياء أفضل مما لدينا ...  
ونعلم كيف نصل إليها !....  
غير أننا لا نريد ترك هذا الذي أمضينا رداً من أعمارنا ونحن نمارسه ...!!...  
حتى صرنا فيه من الخواص الخاصين !!!  
مع أنه قد لا يعدو كونه تفاهة من التفاهات !...

\* \* \*

ما أكثر ما صفق الصم بحرارة في حفلاتهم لكل من تكلم !..  
لأن كل واحد منهم يخشى أن يراه الأطرش الذي يليه ساكناً لا يصفق ...  
فيعلم أنه أطرش !  
فالكل مُعجَب و الكل يلعب ....  
و يالسعادة الخطيب المخدوع ... بجمهوره الكبير العريض !..  
الأشياء تبدو أكثر وضوحاً عندما لا نعشقها ...  
و لهذا لا أسعى لأن يحبني أحد لأنني أبحث عن يفهمني !...

الحب يبدأ بالتلاشي بعد محاولة الفهم الأولى ...  
و لهذا نحن نعشق الأوهام ... لأننا لن نفهمها ! ... فلا شيء يشبه الوهم !...  
و نكره الواقع الملموس ... لمجرد أنه واقع .. و ليس لأنه لم يكن جميلاً !!  
و كذلك الحال في أمور الحياة ... و الكتابة أيضاً ... ! ...  
ومازلت أؤمن بأن الكلام المفيد أجمل من الكلام الجميل ...  
و بأن الفلسفة بلا حكمة شرعية ليست إلا خرافة منطقية !  
و لأن العالم جزء من الكتابة ... كتبت !  
و لأنني حديث عهد بإيمان جديد بأن الرجل قد يُورث عقله !...  
فقد قررت أن أورث عقلي !! ..  
و على المتضرر اللجوء إلى القضاء !!  
العقل لا يستسيغ أكل التبن ...  
و لا يبيض كل يوم بيضة ليحضنها و يرقد عليها بصمت ..  
ولا يصلح أبدا أن يكون دجاجة !

(1)

## كجلمود حُلِم حطه السيل من عل

هل أنت حزين ؟

أنا أيضا حزين !! . ربما ليس ذلك الحزن الشديد , و لكنني اشعر بأني أعيش " لحظة مرفوضة !  
" لا أحبها و لا تحبني . مشكلة الزمن أنه كالطائر مبتور الساقين الذي إما أن يسقط على رأسه  
فيموت أو يبقى محلقا على الدوام , فليس هناك زر " إيقاف مؤقت " و لا يوجد ثلاجة قابلة  
لتجميد الأعمار لتدخر نفسك فيها متى سامت الحياة !.

علينا أن نتعلم كيف نمارس " إنقاذ ما يمكن إنقاذه " و أن نستفيد من حطام اللحظات المهدرة  
في شيء ما , قد يكون الاستغفار و قد يكون النوم و قد يكون الكتابة و قد يكون زراعة البصل  
أو سلق البيض !! , المهم أن لا يسرق الهم عمرك و يقتات عليه و أنت الذي تطعمه لحظات  
العمر بيدك ! .

هل تعرف يا صديقي ؟

مؤسف فعلا أننا " نريد شيئا " ثم لا نستطيع تحقيقه , سواء كان ماديا أو معنويا , و لكن لحظة  
" صناعة خطة الانكسار " و كيف تقود مشاعرك كما يقود الشجاع المهيّب جيشا من الرجال في  
معركة كان القدر فيها بلا أي مبرر حسي هو السبب الحقيقي وراء الهزيمة , عندها ستشعر أن الله  
سبحانه يقول في نفسه بأن هذا العبد يحتاج إلى امتحان أكبر لأن له قدرة أكبر و أقدر من غيره  
, و لهذا جاء في الحديث " الصبر على قدر المئونة " .

هذه هي الحقيقة بالفعل , فأنت عندما تجتهد كليا لتنجح ثم لا يكون ذلك فهذا دليل على أنك  
حتى الآن لم تصل لما تستحقه من نجاح و أنك استعجلت قليلا و أردت أن ترفع يدك بالفوز  
قبل أن تصل إلى خط النهاية !, أنت فائز بالفعل و لكن ... ليس الآن !!

هذا كل ما في الأمر !

إن مجرد قبول فكرة الحكومة في الحياة المدنية أو في أي تجمع بدائي كشيخ القبيلة أو قائد القطيع هو بحد ذاته اعتراف خجول من عناصر هذا المجتمع بأنهم لا يجيدون إدارة أنفسهم و لا يجيدون ممارسة الحكمة بشكل طوعي و لهذا يقبلون فكرة أن يكون هناك طرف آخر يتحكمون إليه و يقبلون به لكي يقضي بينهم و يضبط أمورهم و مع هذا لا ينفك المواطن من تمثيل دور الخبير الذي لو جلس على كرسي الحكم لأتى بما لم يستطعه الأوائل !! . و بسبب أن الحياة المدنية قائمة على الجشع الشخصي فكلما تمدن الإنسان كلما ازدادت حاجته لحكومة تتدخل في كل شيء لأن الأطماع تنوع و الجشع ينتفش و لهذا نجد المجتمعات البدائية تعيش حالة من الود التلقائي ليس بسبب حميد أخلاقها بقدر ما هو بسبب فقر دوافع الجشع و الطمع و السيطرة التي تسنح لمن يعيشون فيها .

كانت الشيوعية تسعى للمساواة بين الناس - بزعمهم- حتى يصلون إلى مرحلة يستغنون فيها عن الحكومة و هذا بسبب النظرة البسيطة للتكوين الاجتماعي في الفكرة الشيوعية فكل شخص يعمل على قدر حجم معدته ثم ينام , بينما الرأسمالية كانت تقوم على مبدأ أن يعمل الإنسان على قدر جشعه ليملاً جيبه بالنقود و لهذا تطورت المدينة الرأسمالية و بقيت المدينة الشيوعية تعيش تحت شعار المطرقة و المنجل البدائيين و لأجل هذا أيضا تطورت نظم الحكم في الدول الرأسمالية و بقي النظام الشيوعي بسيطا ساذجا , فالمال صنع الجشع المدني و الجشع المدني صنع الأنظمة و الأنظمة صنعت الحكومة ثم ما لبث الجشع أن سرى خارج أسوار المدينة الرأسمالية ليتحول إلى إمبريالية و استعمارية .

لا يستطيع النظام الاستعماري الرأسمالي أن يعيش في مدينة لا تقبل الانتفاش و التضخم الاقتصادي و لا ترضى ببناء أنظمة كثيرة متنوعة تخدم الجشع المتنوع المصاحب للرأسمالية و لأجل هذا كله نجد أن التركيز على عبارة " الانتعاش الاقتصادي " كان هو محور اجتماع أليك الأخير في سنغافورة فالانتعاش يصاحبه الجشع و الجشع يصاحبه الأنظمة الجديدة التي بالطبع ستكون " سمة المدنية " الجديدة ثم تجد المدن المنتعشة نفسها قد تحولت إلى نسخة أخرى من الحكومات الرأسمالية !. و بعبارة أكثر تبسيطا فإن إفساح المجال للاقتصاد الحر سيصنع مشاكلا داخلية لحماية ذلك الاقتصاد و سيجد أي شعب يقع تحت هذه التجربة نفسه مطالبا بتغيير قوانينه أو إصلاحها للحفاظ على " انتفاشه " و من حيث لا يعلم سيجد أنه يتحول تدريجيا إلى عالم آخر و نظم أخرى و بالتالي حكومة أخرى جديدة تماما !. فالحكومات التي تدعم

الاقتصاد الحر و تسعى للاستحواذ على كراسيها هي حكومات غبية تسعى لحتفها بأرجلها و لكنها الآن منشغلة بصلصلة الدنانير الجديدة على بلاط الحكم الذي سيتحول إلى قاعة احتفالات لأعضاء فخرين في شركة رأسمالية كان سابقا يطلق عليهم " رجال الحكم " ! .

### العيش خلف الزمن

الشعارات عناوين و مبادئ جماعية يصنعها المفهوم الإنساني و يجتمع تحتها الناس لأنها تتعلق برغبة عامة تمس كل أفراد المجتمع أو أغلبهم , هذا لو جعلنا مدى الشعار هو أفراد المجتمع أما لو جعلنا المشاعر و الرغبات الشخصية هي أفراد المجال المراد تغطيته بالشعار فسنجد أننا نهتم كثيرا بما نعتقد أنه يحقق أكبر قدر من رغباتنا و مشاعرنا فترى الفتاة ذلك في الشاب و يرى الرجل ذلك في المال و يرى السياسي ذلك في السلطة , أما الشعارات الجماعية فهي المتعلقة بهموم الناس العامة كالمجد و العزة و بعث التاريخ المجيد .

التعلق بالشعار كغاية وحيدة يجعلنا نعيش خلف الزمن و ذلك لأن أكثر الناس يربطون شعاراتهم بأمثلة تاريخية أو حالة معينة يعرفونها حتى و لو لم تكن وجدت من قبل . هذه الأمور تكون سببا رئيسا في قتل كل القدرات الحالية التي لا تصل إلى مستوى تحقيق الشعار و تجعل اليأس يدب في نفس من يطمح له و هو يدرك أنه لن يصل ثم يجد نفسه لا يقبل بأي حل واقعي يناسب قدراته المهددة على الصعيد اللحظي الذي يعيشه . لهذا ترفض الفتاة الزوج الذي ترى أنه لا يحقق لها شعار " فتى الأحلام " و يرفض السياسي الشراكة التي تحطم شعار " القوة و السيطرة " و في النهاية ندفع جميعا الثمن ذهاب قدراتنا الحالية ليس أدراج الرياح بل إلى اتجاه آخر قد يكون الحقن و الغضب اللامبرر على كل شيء حولنا و نعتقد أننا نتجه نحو تحديد سبب فشلنا مع أن الحقيقة تشير إلى أن الفشل الماثل من حولنا هو نتيجة لما نمارسه الآن من تقديس لصورة ما أو شعار ما و نحن نلوك عليه عبارات التحسر و لا نقبل بما دونه .

التعلق بالشعارات و المثل العليا مرده إلى شعور بالخطر و خوف من فشل يترتب على أي تجربة قد نخوضها لنصنع من أنفسنا شعارات لمن بعدنا و لهذا تجدنا نتمسك بالتجربة السابقة و نرفض صناعة تجاربنا كطالب قلق جبان يخشى إعادة الامتحان خوفا من الحصول على درجة أقل من السابقة و يبقى يصنع لنفسه المبررات التي تجعله إما بطلا مظلوما أو مناضلا يحافظ على قيمة لا يعرف الناس قدرها , و هنا تبدأ مرحلة الانفصال و الابتعاد عن الواقع الحقيقي بين أفراد المجتمع لنجد كل يغني على شعاره !



لو نظرنا إلى السير الذاتية لكل المبدعين على مر العصور لوجدنا في سيرة كل واحد منهم نزعة من الفردية و الأنانية بارزة الظهور سواء على المستوى الثقافي أو حتى الديني أو العسكري . فأكثر طلبة الحديث في العصر الأول كانوا يتركون أهاليهم و يسافرون لسنين عديدة و بعضهم يستوطن في أطراف الأرض و لا يعود , فكون هذا العمل شيئاً دينياً يبتغى به وجه الله فهو لا يلغي كونه ملغياً للآخرين كأولوية في الحياة هذا مع العلم أن بعض أكابر طلبة العلم كالدارقطني و سفيان الثوري كان يقول طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله ! .

أبو يوسف القاضي الامام المجتهد تلميذ أبي حنيفة كان صبياً صغيراً و كانت تبعته أمه إلى العمل ليعمل خياطاً عند رجل تعرفه و كان يعطيه كل يوم ديناراً فمر ذات يوم على حلقة أبي حنيفة فأعجبه كلامه و وجد في درس أبي حنيفة شيئاً يستثير ملكة الإبداع عنده فكان يجلس و يترك العمل فجاءت أمه إلى أبي حنيفة و قالت : لقد أفسدت علي ابني !! . و كانت هي تعده ليمثل شخصية البقرة الحلوب و الابن العبد , فكان أبو حنيفة بعدها يعطي الطفل كل يوم ديناراً ليعود به إلى أمه و كأنه كان عند الخياط حتى رسخت قدمه ليصبح فيما بعد قاضي القضاة و جليس هارون الرشيد و لو ترك شخصيته ليد أمه لكان حمالاً أو عتالاً لا يختلف عن أي حمار من حمير بغداد ! . و في سير المثقفين نجد الأمر واضحاً و جلياً سواء في ممارسة الفردية تجاه الأهل أو حتى المجتمع المحيط و في ذلك قصص غريبة عجيبة كقصة تولستوي مثلاً , و هو أديب روسي منح جائزة نوبل أكثر من مرة و كان يرفض استلامها ! , و في آخر حياته أوصى بماله و مزرعته للفقراء حيث كان أبوه ثرياً و خرج يجوب الأرض على قدميه بعد أن جاوز الستين ثم أصيب بنزلة برد فمات في محطة للقطارات , لا يعرفه أحد ! .

في مجتمعنا العربي نمارس كثيراً هلوسة الشعارات و مضغها المقيت كالتضحية من أجل الآخرين و الصبر على كل شيء و الإيثار و الكرم اللامبرر بطريقة ساذجة و قاتلة , فالابن يشيب شعر رأسه و هو يظن أنه ملك لأبيه و أمه يصنعون به كيفما يشاءون و الرجل يرى المجتمع من حوله هو الأب الروحي الآخر الذي يجب أن تضحي بكل ما تملك لإرضائه , بل حتى الدين ذاته يتم تصويره كسائن حصان يجلس على ظهر المتدين الذي يغطي عينيه بورقتين و لا ينظر إلا أمامه كحصان العربات المذللة ! . و شيئاً فشيئاً تتراكم حقوق الآخرين الذين لا ندري من هم ؟ , ثم

نجد أنفسنا قد تحولنا إلى " سلعة مشاعة " لكل أحد فيها حق و نصيب لا يمكن الجدل فيه , حتى بلغ الأمر بقريب لي أن زارني في تمام الساعة الثالثة بعد الظهر و هو يعلم أنني رجل أعمل و أعود لكي أنام فجاء إلى البيت بلا اتصال و لا موعد و أخذ يطرق الباب فخرجت بملابسي الداخلية ظناً مني أن هناك ثمة حالة طوارئ ثم فتحت الباب و إذا به فلا يقول : أتيك زائراً !! , ثم يمرر ذلك بشعارات حمقاء مفادها أننا أهل و أقارب و أن تمام الكرم أن تستقبل الضيف و لو جاءك سائحا آخر الليل ! , و عندما سألته : أليس معك جوال و تعرف رقم جوالي فتصل قبل الحضور ؟ فرد بشعارات حمقاء أخرى مفادها أننا أقرب من أن يكون بيننا جوالات !! . هذا مثال بسيط جدا لحالة الإستباحة التي تمارس علينا من قبل الشعارات الحمقاء التي مازلنا نعاني منها و شيئاً فشيئاً يسحب البساط من تحت أقدامنا لنجد أنفسنا نفكر للآخرين و نعيش و نموت لأجلهم و أن ذواتنا كبشر و ك شخصيات مستقلة ليس لها أي قيمة في اعتباراتنا الحياتية و النفسية .

قديمًا عندما كانت أدوات تفعيل الذات مرتبطة بالآخرين كان يجب عليك أن تدفع الكثير من التضحيات لتصبح فارساً أو شاعراً في مجلس عليا القوم أو مستشاراً لديهم , أما اليوم فيمكن أن أحد أن يقوم بتفعيل ذاته و لو أمضى حياته كلها في دورة المياه , فأنت قادر على الاتصال و التأثير على الآخرين و بناء تصورك لهم دون الحاجة لتملق أي أحد أو دفع ضريبة التضحية الباردة له !.

(5)

## متجر الوجوه

كان الملك الموسوس يجتمع بحاشيته و يذكر لهم خوفه الشديد من سوء نوايا رعيته فالمتدين إرهابي و المثقف عميل قابض و الشباب حدثاء اسنان لا يدركون شيئا سوى التهام الطعام و المشي في الأسواق و لا يحكم لهم بوطنية يوثق بها ! .

كان الجميع يعتقدون بأن في كل مكان ما يكمن شخص ينشر كل شرور المجتمع فيمن حوله ففكروا كيف سيجدونه ؟

قال رئيس المخابرات و كان رجلا يتعاطى المخدرات و تبدو تحت عينيه ظلمة سوداء في وجهه اجتمع فيه تقطبية مأكرة تحت رذاذ من ابتسامة واثقة , قال : نجبر كل مواطن على ارتداء وجه يناسب حاجته اليومية التي خرج فيها ! .

فالذي يخرج للتسوق يرتدي وجه بقال الحارة و الذي يخرج لتحصيل المال من مدين يرتدي وجه محصل الفواتير في المدينة , و بهذه الطريقة سنكتشف نوايا الناس بمجرد النظر إلى وجوههم دون سؤالهم !! .

استحسن الملك هذه الفكرة و اصدر مرسوما ملكيا يقضي بفتح متجر للوجوه في كل حي و أن الذي لا يرتدي الوجه المناسب سيعاقب عقابا شديدا !! .

كان حي بني عاجل مكتظا بالسكان ففتح متجر الوجوه و صار لزاما على كل موظف أن يذهب إلى المتجر ليترك نسخة من وجهه هناك , فترك المهندس سلمان و الطبيب سامي و محصل الفواتير شرارو القاضي عبد المعين و المهرج فرحان و سكرتير فرع الديوان الملكي في المدينة تيسير و الراقصة فاتن و كل أهل الحي نسخا من وجوههم ! .

و في أول يوم يفتح فيه المتجر كان الناس يختارون الوجوه المناسبة فاضطر كل سكان الحي إلى شراء وجوه جديدة إلا شاب اسمه " جمال " و كان هو إمام مسجد الحارة و كان معتكفا على القرآن و لا يخرج إلا للمسجد فلم يكن يضطر لشراء وجه جديد ! .

خرج تيسير و هو يرتدي وجه الراقصة فاتن لأنه كان مضطرا للمشاركة في حفل يقيمه الفرع الذي يعمل فيه و يقتضي الولاء أن يرقص هو في الحفل مع بعض زملائه فلم يجد وجه راقص في متجر الحي سوى وجه فاتن !! . و خرج القاضي عبد المعين بوجه المهندس سلمان و خرج الطبيب سامي بوجه محصل الفواتير و مضى اليوم الأول تحت صيحات السخرية من تيسير و

سامي و غيرهم , فقد تحول الحي إلى منظر مخزٍ يدعو للشفقة !. خرج القاضي عبد المعين من منزله في وقت العصر و إذا به يرتدي وجه المهرج فرحان فهو رجل يحب المزاح و قد توجه الآن إلى صديقه مسعود ليمضي فترة العصر معه في تهريج و مزاح ! . و كان الصحفي سمير عاد لتوه من مقر الصحيفة و هو يرتدي وجه فاتن فسأله البقال الذي مر من أمامه عن سر هذا فقال بأنه يعمل في صحيفة تجبره على الحديث عن المرأة في كل ما يكتب فهو يخرج بهذا الوجه الأنثوي لكي يحافظ على وظيفته و كان شعره أشقرا و شفتاه منفوختان بالسيلكون , أعني وجه فاتن ! .

لم يعد من السهل التعرف على أحد في الشارع فكل الوجوه تغيرت حتى في أوقات الليل و غصت البيوت بنسخ كثيرة من الوجوه فلم يعد من السهل حتى على أهل البيت أن يعرف بعضهم بعضا حتى صاروا يجعلون بينهم كلمات " سر " يعرف بعضهم بعضا من خلالها ! .

كان " جمال " هو الشخص الوحيد المعروف في الحي فكان الجميع يتكلم معه بارتياح لأن كل فرد يخشى أن يتكلم مع قناع آخر بكلام لا يناسب شخصية من يلبسه , فقل الكلام و ازدادت الريبة و تحول الشعب بأكمله إلى " أمة من الموسوسين " فسعد الملك بذلك فقد انتشرت ملامح الريبة في شخصيات الناس و صار كل فرد يخشى الذي يواجهه فظن الملك أنه قد حل المشكلة و أن لا أحد الآن يجرؤ على تكوين خلية إرهابية أو انقلاب عسكري على حكمه لأن كل الناس صارت تخشى أن تبوح بأفكارها و كان وزراء الملك كلهم يرتدون وجه الراقصة فاتن آخذة الجمال و كان هو مسرورا بالنظر إليهم و هم يرقصون في احتفال جلوسه على العرش !! . انتشر خبر " جمال " ذي الوجه الواحد , و قد كتب عنه أهل الصحافة و شنعوا عليه و قالوا بأنه مصدر الشر الذي يخشاه الملك و أن ثباته بوجه واحد يثير مخاوف التآمر على جلاله الملك , فتم القبض عليه و بعد التحقيق معه بعث إلى المحكمة ليحكم عليه القاضي عبد المعين بالسجن مدى الحياة !! .

الجدير بالذكر أن القاضي عبد المعين عاد في ذلك اليوم الذي حكم فيه على جمال و هو يرتدي وجه الملك !! .

(6)

خالد بن الوليد : الذي علمني القراءة

في يوم من الأيام كنت في الصف الخامس الابتدائي فسمح لنا الأستاذ أن نستعير الكتب من غرفة كبيرة في المدرسة اسمها المكتبة !! .

دخلناها فوجدنا كتباً موضوعة على الرف بشكل أنيق تلك هي المرة الأولى في حياتي التي أشعر فيها بأن الكتاب شيء خاص تفتح له غرف خاصة و يوضع فيها بشكل أنيق كما يفعلون بالأحذية في سوق المدينة !! .

دخلنا المكتبة فشعرت بشيء غريب يشبه الدخول إلى مكتب مدير المدرسة ..

" لا تخرب يا ولد اختر كتاب و اكتب اسمك و ترجعه بعد ثلاثة ايام "

كان هذا صوت أمين المكتبة !

دخلت فوجدت كتاباً مكتوب عليه خالد بن الوليد و عليه صورة فارس على حصان و معه سيف !!

هذا خالد الذي كثيراً ما حدثنا عنه مدرس التاريخ ؟؟

أخذت الكتاب و ذهبت إلى البيت لأقرأه في ثلاثة ايام كما تعهدت فوجدت فيه قصة غريبة لم يحدثنا بها مدرس التاريخ !..

قصة تقول بأن الفاروق عزل خالد بن الوليد لأنه قتل أحد المسلمين في معركة ما ليتزوج امرأته ؟!!

و بعد أن فند المؤلف هذه القصة و نفاها و جاء بالأدلة و أن الفاروق عزل خالد لكي لا يفتتن الناس به فيقال إنما النصر كان بسبب قيادة خالد و بعد ذلك علمت بأن اليهود اتهموا داود عليه السلام بنفس التهمة و لكن ؟؟؟

مع كل ذلك بقي في نفسي أثر كبير من هذه التجربة ..

أثر مفاده أن بعض الكلام الخطير عن بعض أخطر الأشياء و الرموز في حياتنا قد يكون موجوداً حتى و إن كان كذباً و لكنه موجود و لن تجد من يحدثك به إلا الكتاب !!..

لا مدرس التاريخ و لا مدرس التوحيد ...

هذا ما تعلمته من هذه التجربة ..

أن الكتب فيها من الصراحة و المفاجئات أكبر مما نتخيله ...

صار لدي شعور قوي بعد ذلك أن كل كتاب كبير قد يحوي بين جنبيه عالما من الدهشة قد يقلب كل مفاهيم رأسي رأسا على عقب ...

و بمجرد ما أن جاء وقت استلام الشهادة أخذت جائزة النجاح " مائة ريال " وذهبت إلى المكتبة الوحيدة في ذلك الزمان " مكتبة الإرشاد " فبحثت عن أكبر كتاب فوجدت كتابا من 11 جزءا فقرأت عنوانه و إذا به " العقد الفريد " ففتحت فوجدته يتحدث عن الصحابة و الدولة العباسية و الأموية فقلت في نفسي ( هنا ستجدين الكثير مما لم يقله أحد من الحق و الباطل " .. فاشتريته و قرأته في ثلاث سنوات ...

كان أكبر و أخطر تجربه مررت بها في حياتي ...

تخيل طفل في المرحلة المتوسطة يقرأ ما في العقد الفريد ???

و بقي لدي هذا الشعور الذي تعلمته من قصة خالد بن الوليد المفتراة عليه :

( الكتاب أشجع من يتكلم على وجه الأرض !! ) ..

فأحببت الكتاب ... و مازلت أحاول أن أتعلم منه تلك الشجاعة ...

و أن أجد فيه ما يرضي نهم الدهشة و " السر " خلف كل معرفة معلنة بين الناس ...

و مازلت كلما رأيت كتابا كبيرا شعرت بشيء يشبه الشعور الذي ينتابك حين تقف خلف ستار مكتوب عليه " ممنوع الدخول لغير المدعوين " فتسمع خلفه ضجيج و صخب فتقول في نفسك :

كم خلفك من الأسرار و الأعاجيب و المحاذير و كل ما لا أتصوره الآن !!!

كانت حادثة بسيطة ...

لا يذكرها أحد ..

و لا يعلم بها أحد ..

و لكنها صنعت قارئاً ... و شعورا .. و فكرة ... مازلت أعيش تحت تأثيرها !!! ..

و هكذا تغيرت حياتي !

(7)

## قاتل الله اللغة

لا شيء أقرب من الحقيقة غير أن اللغة تطول و تقصر ! .

كنت أتصور بأن الصدق في إبداء الرأي سيجعلني قريباً من الآخرين و لكنني اكتشفت أن هناك الكثير من الذين يعشقون كذبة الوئام المصطنع أكثر من حقيقة التوافق المنطقي و لهذا كنت أقتحم الكتابة و أدخل قلوب الناس بحماري !. الآن لدي قناعة بأن في كل آدمي قطعة طفولية تدعو الآخرين لعدم تكسير لعبه و أشياءه المسلية , غير أنني لن أحترم هذه القناعة و لن أعمل بها . لو نظرنا إلى كل فكرة مشوشة في رؤوسنا أو أي مشكلة بلهاء ليس لها وجه من قفا سنجد أن " قشور التصنع " هي السبب الأول و الأخير في كل ذلك .

تكذب على قلبك فتصاب بالحزن و تكذب على نفسك فتصاب بالفصام و تكذب على الناس فتصاب بالنفاق و تكذب على أكاذيبك فتصاب بالجنون , و هكذا تمر الأيام و أنت تراوح في شعور رمادي تجاه الأشياء و الأشخاص من حولك و في النهاية عندما تقرر أن تكون واضحاً تجد أن من يحتاج منك إلى ذلك الوضوح هو أول من يتدمر من وضوحك و المشكلة إن كان هذا الوضوح مرفوضاً في عالم الكتابة التي هي " صداقة رسمية " مبنية على المعرفة و الاشتباك الفكري !.

لا تحاول أن تمشي بين الأفكار و أنت ترتدي كامل حلتك الشعورية فإنك لن تستطيع الولوج , و ستجد أن ريشة سخيفة في طرف شعورك قد تطرف عين أحدهم فيشتمك و يقذع في شتمك و قد كنت قادراً أن تمشي بدونها . يكمن الخطأ في الآخرين حين لا يتصورونك إلا بكامل حلتك و لا يستطيعون أن يميزوا بين ما تقول و بين أن تقوله أنت في وقت ما في مناسبة ما ! . و لا أخفي أنه يهمني فعلاً أن يكون لي أصدقاء و لكنني لا أهتم بالفعل لصناعتهم لأنني على يقين من أن الصداقة شيء ينبت فجأة كرابط غير مرئي تنسجه مقومات كثيرة هي أكبر من أن يتم تلقينها لمن نريد صداقته أو نتصور أنه سيكون صديقاً وفياً , و لطالما أرقنتني حكاية " قيمة الصداقة " إن كانت ستنتهي بصرخة موتور أو نبزة نابز غير أنني على يقين من أن هناك من الأشخاص من لا يساوي التأفف في وجهي لأنه ليس له رصيد غير " حسن الصمت " في داخلي بينما أجد أن من

الناس من له الحق في تجاوز كل الحدود شريطة أن يحافظ على سابق قيمته في نفسي لأنها هي الشفيح الوحيد لما هو قائم بيننا .

عندما ننطلق من الوضوح مع الآخرين نشعر بقرب عجيب و دفء غير طبيعي يخيم على المكان و نجد الأمور تتحرك تلقائيا لتصطف في صورة متكاملة لا ينقصها إلا أن نؤمن بها , و نجد أننا أكثر توافقا و أكثر تفاهما و اقرب إلى سواء السبيل ! . و يكفي الواقع أنه هو الشيء الحقيقي الذي يقبل كل الأطروحات و يمنح كل الفرص و مع هذا نتجاهله لنبحث عن كوكب وهمي نعيش عليه برهة من الكذب ! . و لو تأملنا أكثر الناس سعادة لوجدناهم الذين يباشرون أعمالهم بأيديهم فعلى الرغم من وعشاء التعب الذي يخيم على وجوههم و يلطخ أيديهم و ملابسههم إلا أنهم أصدق ضحكا و بكاءً و ألد لقمة ممن يجلس خلف أغشية الوهم و الزور يلف نفسه كل يوم ثم يضعها في شدقه يتشدد بها بين الناس ثم ينتهي به الأمر إلى بئر مظلم من الدوامات و الفجوات التي تملأ دماغه ! .

فلا تقل مثلا " كيف أكون سعيدا ؟ " لأنك بهذا السؤال لن تكون كذلك , تماما كما تقول الفتاة " كيف أكون جميلة ؟ " فإنها إن فكرت بهذه الطريقة فلن تكون جميلة و كلما زاد التفكير على هذا النحو كلما تحول الأمر من هاجس إلى وسواس , و لا يكلفك أن تكون سعيدا سوى أن تنظر لما حولك فتبحث عن شيء جميل فيه فالشعور بالأشياء على نحو خاص هو السعادة ذاتها أما من يظن أن السعادة صناعة جماعية فلن يصل في يوم من الأيام إلى " معادلة السعادة " لأنك لا تستطيع ضبط الأشياء على ما تحب ! .

كذلك الصداقة هي نوع من التآلف لا يشترط فيه الاجتماع على " فكرة جماعية " بقدر ما هي شعور بأن في هذا الشخص شيء منك و أنك لو تكلمت له بصراحة فسيفهمك على النحو الذي تحب , و لهذا نعود من جديد إلى قضية الوضوح و أنها لا تنافي الاحترام أو قبول القيمة الحقيقية في ذوات الآخرين .

غير أن اللغة تطول و تقصر ! ...



## الحياة بين التخممة والتجربة

نحن كبشر مصابون بداء المحاكاة نتيجة طبيعتنا الاجتماعية ككائنات ذات طابع مجتمعي أو ربما قطيعي , و لهذا تجدنا لا نفك نلتفت في كل حين حولنا ننظر كيف أصبح الصديق فلان و كيف أصبحت الصديقة فلانة و إلى ماذا آل حال كل من رفقاءنا الذين عرفناهم على مر السنين !! . الغريب أننا نمارس ذلك و نحن نوقن أن لكل إنسان في هذه الحياة مبادئه الخاصة و طريقته في " استهلاك عمره " كما له طريقته الخاصة في " استهلاك مرتبه الشهري " ! , و لكنه هاجس المحاكاة يفرض نفسه ! .

غالبا ما يكون الجرأة على التجربة و عدم الخوف من الحياة سببا رئيسيا في فشل علاقة الحب مع الحياة ! , الحياة تشبه المرأة التي تعيل زوجها و تحب دائما أن تراه يبدي احتياجه و افتقاره إليها و بمجرد ما أن تشعر أنه لم يعد يهتم لهذا الهاجس تبدأ هي بمحاولة احيائه بشتى العراقيل ! . الحياة لا تحب الذي يتجاهل تأنقها و تريد منا أن نؤلف في كل خصلة شعر فيها موسوعة من الشعر و الغزل , و هذا ما يفعله من يجدد اثاثه كل عام و يغير جواله كل شهر و يهتم لاكسسوارات الحياة أكثر مما يهتم لفهمها ! . و الناس في الدنيا على مذهبين : قوم يسلكون طريق المجموع الأكبر من الناس و قوم يرون أن هذه الحياة رحلة استكشافية مفتوحة ! , فأما الصنف الأول فينجح كثيرا في ممارسة " الحياة بالتخممة " و أما الصنف الأخير فيفشل في الوصول إلى " تخمة الحياة " و لكنه ينجح في الوصول إلى " ثراء السيرة الذاتية " .

قوم الحياة بالتخممة و الحياة بالتجربة يشبهون رجلين أحدهما وجد بائعا للموز فتعلم كيف يشتري منه فصار يأكل و يأكل حتى ابتلع الكثير من الكيلوجرامات من الموز بينما الرجل الثاني لم يهتم لحكاية الشراء و أن يصبح فلان " كثير الموز " و ظل يمشي في شوارع المدينة فعلم أنها تنتج مائة صنف من الفواكه فشاهدها و لمسها و ربما شم رائحتها و عرف ألوانها و طبيعة زراعتها و مواسم حصادها ثم عاد الرجلان من القرية فجلس كل واحد منهما يحكي سيرته الذاتية في يومه المنصرم لأبنائه , لك أن تتخيل الآن كيف سيتحدث الشبعان " متخم الموز " و كيف سيتحدث

الجائع الذي كانت له القرية تجربة أكثر منها " فرصة للتخمة " ؟؟ . كم سيبدو المتخم هزيلا مسكينا فقير السيرة بينما صاحب التجربة يتحدث و إذا به ينقل مجتمعا بأسره و يرسم لوحة لا ينقصها إلا الروح لتكون عالما آخر موازيا للعالم الذي يعيش فيه !.

هي هكذا حياة من يحيا لأجل التخمة من مذهب مأمون في الحياة فيتشبت به و يزداد منه و بين من يمشي و هو لا يرى هذه الحياة إلا فرصة لممارسة الذات على العالم و أن يحك جسد الحياة بجسده حتى إذا رحل بقيت نكهته و رائحته جزءا لا يتجزأ من هذا الكون , فهو ليس " ماعون طعام " أو " حمار حرث " في حقل لم يجاوزه فقط لأجل أن يملأ حظيرته آخر النهار بالكثير من التبن و الشعير و ربما التفت صديق الحمار يوما ما فرآه في حظيرته شبعانا و هو يدور في الطرقات هزيل الجسد خالي الكف و لكنه يعلم تماما أنه ذاق من الدنيا التي هي أكبر من مفاهيم التخمة أكثر مما ذاق ليس الحمار فقط بل و ربما صاحبه !.

(9)

أخلص لنفسك يا غبي !!

لو عدت لتسأل نفسك الآن عن كل الأشياء التي تحبها أو تكرهها , تحترمها أو تحتقرها , كم من هذه الأشياء سيكون مبنيا على قرار شخصي منك ؟ . أعتقد بأنه القليل جدا , و لهذا نحن نعاني اضطرابا مستمرا في علاقتنا بالآخرين و بالأشياء من حولنا . قد يكون الاجتماع خلق جميل في الإنسان و لكنه لاشك ذي تبعات ثقيلة تغلغل في نفوسنا و العقل المتأمل وحده هو من يستطيع تطهير جوهره الأصلي من تشوهات موروث المجتمع من حوله .

هناك جريمة ما , جنائية ما أرتكبت في حقك منذ أن كنت طفلا و تركت تشوهات كثيرة في نفسك و أنت لا تعلم ذلك و تعيش حياتك دون أن تسأل عن ذلك , بل و ربما وجدت نفسك فخورا بتلك العاهات لأن هناك ثمة من " لقنك " أنها شيء رائع و مهم في جعل شخصيتك أفضل و أقوى مع أن الأمر غير ذلك ! . يتحدثون كل يوم عن حوادث الاعتداء الجنسي على الأطفال من قبل بعض أقاربهم و أنه يحدث عاهة نفسية لدى الطفل و لكن لا أحد يتحدث عن " الاغتصاب الفكري " الذي يتعرض له أطفال المجتمع بأسره أثناء تلقينهم الحياة على صورة ما رديئة بئسة ثم يحصرون أبناءهم في ذلك التصور و تلك السمات فيبقون بقية حياتهم يعانون تلك الجريمة البشعة ! . من حق الإنسان أن يعيش حياته " حر التأمل " و وظيفة الآباء و الأمهات هي تعليمهم أساليب النجاة من أدران الواقع حتى يكبروا و يشتد عودهم ثم يمنحونهم حقهم الأصلي في ممارسة الحياة بتصور حر من تبعات التلقين البشري و الأفكار البشرية المسبقة , فالدين ليس صناعة بشرية و لكن فهمه و توظيفه على نحو ما يخدم رغبة فئات ما هو تشويه للدين و للأجيال التي تعتقه كما أن الدين بحد ذاته لا يمكن أن تتبناه عقلية فقيرة التصور عديمة الجرأة على التجربة ! .

لماذا يشعر الآباء أن وظيفتهم تعليم أبنائهم كيف يفكرون و بماذا يفكرون مع أن الأصل هو تعليمهم معنى التفكير و سلبياته و إيجابياته و أن يعرضوا عليهم نماذجاً من تجارب البشرية عبر السنين فيقولوا لهم : هذا فكر هكذا فانتهى إلى نتيجة كذا و هذا فكر هكذا فانتهى إلى نتيجة كذا . لماذا نعلم أبنائنا الإخلاص لنا قبل أن نعلمهم الإخلاص لأنفسهم ؟ حتى الله لا يقبل الذي يتجاهل حقوقه و يقدم عليها حقوق الله ! . كيف يعيش الإنسان بقلب مقلب مسبقاً و عقل يئن تحت أفعاله ثم نرميه في حياة كهذه الحياة كثيرة التنوع و التغير , حياة تتكسر في كل لحظة فيها عشرات الحواجز و تنهار مثلها من المفاهيم , لماذا نحب بالوراثة و نكره بالوراثة و نخطط للمستقبل أيضاً بالوراثة بل و يتمنى بعضنا أن يموت بطريقة وراثية كما مات فلان و فلان ! .

ليس في هذه الحياة قيمة تعادل معرفة الإنسان قدر نفسه و لن يعرف الإنسان ذلك حتى يخلص لنفسه , و يقال له أنت أناني و مخالف و غير ذلك من الأشياء التي هي في الحقيقة سياط يجلد بها العجل الصغير قبل أن يفر من باب الحظيرة ليعلم أن العالم أوسع و أرحب من مخاوف من يعيشون داخلها و أن فيه من الآمال و الأشياء التي تستحق العيش أكثر من رزمة تبين و حفنة شعير و آمال أطول من شخصية البقرة الحلوب التي تغذي العائلة أو الثور الصبور الذي يحرق الأرض لغيره ثم يموت أضحوكة في ميدان مصارعة أسبانية للثيران برماح فارس أخيراً قرر كشف وجهه القبيح لضحيته ليخبره أنه يستطيع خداعه حتى آخر طعنة و على مرأى من الناس برقعة حمراء , ثم إن العمر بعدها لن يعود !! .

و في يوم من الأيام ... خرجت مع زميلي " أمين " لتناول الإفطار ..  
و في طريق عودتنا تحدث لي عن ضائقة مالية , ثم قال : أكره أن أحدث الناس بحاجتي , و  
استحي من الله أن أفعل ذلك , ليس لعزة في نفسي , و لكن لأن لي مع الله قصة لا يعلمها  
أحد !! ..

أطرق قليلا ثم قال : سأقص عليك قصة سيذكرها التاريخ ...!!  
فقلت في نفسي : هذه مبالغة من مبالغاته !! ... هات يا أمين !!  
قال خرجت يوما إلى صلاة الفجر , بعد أن أيقظني أبي و أغلظ علي في الكلام , فصليت الفجر ,  
و جلست على حائط المسجد القصير باتجاه البحر في قرية بدر ...  
في المدينة المنورة ... زادها الله نوراً و تشريفاً ...  
فرأيت شباباً معهم عدة الصيد يخرجون لصيد الطيور !! ...  
فتذكرت و أنا المولع بالصيد ..

هذه الأيام هي أيام قدوم طائر الخرشبي ...!  
الذي لا يأتي إلا أربعين يوماً ثم يغيب ...!!  
اشتعلت رغبة الصيد و نشوته في قلبي !! ...  
أريد أن أخرج و أصيد طائر الخرشبي ...  
و لو مع أي شخص يمر ... أعرفه , أو لا أعرفه ... المهم أخرج ...!!  
قال ثم كأن أحداً قال لي : اجلس و سبح و اذكر الله ...!  
أطلبه أن يرزقك ذلك ...  
أليس الله على كل شيء قدير كما يقول كل الناس؟! ...!!

قال : فأخذت أسبح و أقول إن الله على كل شيء قدير , و قادر على أن يرزقني و أنا هنا ..  
أكبر طائر خرشي في الوجود !! ...  
قلتها بملء فمي , و بكل بساطة الصبيان , و تمنيتهم ! ..  
فقلت نفسي : و لكن كل شيء بسبب !! , و أنت صبي صغير ..  
لعلك لا تعرف ذلك ..  
قال فكأن شيئاً يقول لي : " أأنت تؤمن أن الله على كل شيء قدير ؟ " ..  
أليسوا أخبروك ذلك في المدرسة ؟  
قال فجال الصراع في نفسي , فأخذت و أنا أمرجح قدمي بسرعة أتجاهل بحركتها هاجس  
التشكيك , و أنا على الجدار أنظر خلفي ...!  
فأريت نقطة سوداء صغيرة ... فقلت هذا كيس طائر ...  
أو عصفور صغير !! ...  
طائر الخرشي لا يأتي إلا من جهة البحر , لأنه مهاجر ... و هذا ورائي !!  
ثم عدت أنظر أمامي فكأن شيئاً يقول لي :  
" النقطة هذه شيء آخر , أنظر وراءك يا أمين !! " ...  
قال : فنظرت .. و إذا بطائر .. أكبر من العصفور ...  
فقلت : " هذه حمامة !.. " ..  
و عدت كما كنت ... !!  
فجاءني الذي جاءني أول مرة فقال :  
" بل هذا رزقك يا أمين الذي طلبته من الله .. !! " ...  
قال فكأن نسيماً بارداً جرى في شرايين صدري ... !! ...  
يتخللني ... يطمئني على أمنيته ...  
يفتح الطريق في روعي للشعور بعظمة مخيفة الظلال ..  
فشعرت بسعادة يخالجها رهبة غريبة .. و خوف !!  
أنظر وراءك يا أمين ...  
فنظرت فإذا بطائر كبير ... يقترب .. إنه يأتي إلي ... لعله رزقي ؟ !! ..  
و لكن الأسباب ..  
سأذهب له بحجر لعله يمر بقربي فأضربه ... فقلت :  
لا .. الذي جاء به من كبد السماء ..  
قادر على أن يضعه في يدي ... كيف ؟ .. و الله لا أدري يا رب !! ..

أمعقول أن هذا طائر خرشي ؟ ... من ورائي ؟ ... و بمفرده ؟ ..  
ما هذا الذي أصابني !! ... هل هذا حلم !! ... هل أصابني مس ؟ ...  
فعدت أمرجح قدمي ... و برودة في صدري تقلقني ... و تسعدني ! ..  
أنظر وراءك يا أمين هذا رزقك ... فنظرت ...  
و إذا بطائر كبير كأنما يطرده نسر !..  
و لكني لا أرى خلفه أحداً !! ... إنه يخر بسرعة جنونية إلى الأرض .. كأنه يُطرد !!..  
و لكن لا أرى شيئاً وراءه !! ... إنه ينزل .. ينزل ...  
يصطدم بأسلاك الكهرباء !..  
إنه يقع ... بل وقع !! ... ركضت إليه .. اقتربت منه ...  
إنه طائر خرشي كبير !! ... سبحان الله !! ...  
أخذته بين ذراعي ... طائر خرشي ؟ !! .. نعم !! ...  
هذا رزقك يا أمين الذي طلبته ...  
الله على كل شيء قدير !! ... الله أرسله لك !! ..  
البرد يسري في صدري ... ذراعي ترتحيان ! ..  
أخذته و عدت إلى أهلي و أخبرتهم القصة ..  
قالت خالتي : "هذا لأنك صليت الفجر اليوم في المسجد ...!" ..  
المسألة كانت أكبر من صلاتي للفجر ... أكبر بكثير ...  
أكبر يا جميل !..  
و عاد الذهول إلى وجهه !! ... فقلت له :  
لعلها من نسج خيالك .. لعلك حلمت بذلك ..  
أو اشتبه الأمر عليك مع طول الزمن ؟؟  
قال : لا , و الله العظيم! .. هذا ما حدث كأنه اليوم ..  
"تروّعت" يا جميل ... و الله "تروّعت" !!  
فقلت في نفسي : بل أنا الذي "تروّعت" يا أمين !!..  
سبحان الله العظيم !

(11)

### القلوب الآسنة لا تبوح

عندما نضع التفاح على الطاولة و نشمه نجد أن له رائحة التفاح و عندما نضع النعناع على الطاولة و نشمه نجد أن له رائحة النعناع و عندما نضع كل شيء طيب في ذاته مع ذلك نجده كذلك , ثم ندوزن المائدة و نأنقها فنجد أننا في مكان جميل مليء باللون و الطعم و الرائحة ثم نأكل كل ذلك فتبقى ذكراه في قلوبنا كما عرفناه أول مرة !.

و لو وضعنا كل ذلك في وعاء ثم أغلقناه لفقد كل شيء طعمه و رائحته و لونه و اختلط بغيره ثم تخمر ليتحول إلى نتن مقزز و خمر مسكر لا ينم عن شيء سوى الرغبة في عدم الموجود و الخروج من نطاقه !.

كذلك الأحاسيس و الأفكار ...!

يأبنوني على الكلام و الكتابة و ينزونني بالمتفلسف و المتحذلق و لكنني بكل بساطة رجل يحب أن يقدم قلبه ساخنا و أحاسيسه فتيية غضة طرية للآخرين , أدوزنها و أنقها و لكل منها طعمه و لونه و رائحته ثم يبقى منها ذكراها الجميلة و دبقها العالق بالذاكرة و المخيلة الخصبة !.

القلوب المغلقة قلوب آسنة و القلوب الآسنة لا تبوح و لكنها تفوح ! . يكبت الإنسان كل ما لديه حتى يختلط الحب بالكره و الوضوح بالغموض و الجدوى باللاجدوى ثم تجد قلب هذا الواجم على نفسه و قد تحول إلى دن عرييد مخبأة تحت حفنة تراب يرقب صاحبها يوم تخمرها كل يوم فإذا فتح قلبه وجدت عالما سكرانا و خليطا نتنا من كل شيء فلا يبقى بعد ولوج مثل



هذه القلوب إلا زفرة زفرها أنفك و إشاحة أشاح بها وجهك ذات اليمين أو ذات الشمال ثم هو آخر العهد بذاك القلب !.

أنا أكتب و أتكلم لكي لا يتحول قلبي إلى برميل قمامة و لكي يكون كل شيء مني قابلا للشراسة مع الناس فهم يستطيعون جراحی و مزاحي و أنا أستطيع غمس أصابعهم في قلبي كلما هموا بتذوقي, أنا لا أكتب لكي أعلو أحدا و لكنني أكتب لأنني أعيش بقلب بسيط متواضع لا يستحي أن يلبس أرذل أسماله البالية ليقف بها بين يدي الناس ثم هو كل يوم يزداد حسنا و قدرا في قلوبهم .

هي فلسفة لا يعرفها من يوصد قلبه على كل شيء ثم يخرج لنا منه فتات تصنع العظمة و الفشخرة الكذابة و لكن يفهم هذا من يسيل بوح الصديق في قلبه سيلان اللبن الدافئ الندي على شذقي طفل يتسم و هو يمسك بثدي أمه و كأنه حاز الدنيا بحذافيرها بين يديه !!.

هكذا بكل بساطة ... !

طول المكوث في مكان واحد مهما كان جميلا أو مثاليا يؤدي إلى إقليمية نفسية روحية هي في الحقيقة نتاج للإقليمية الفكرية الناتجة بدورها عن محدودية الأفكار و التصورات التي هي وليدة المشاهد و الاهتمامات من حولنا و هذا كله يجعل الآدمي يعيش بشيء من إنسانيته لأنه بالفعل لا يعلم شيئا عن الكثير من الإنسانية خارج نطاق الإقليم الذي يحبس نفسه فيه . و إن كانت القراءة تمنحنا بعدا تصوريا لكثير من التجربة الإنسانية غير أن الواقع الملموس لمختلف التجارب البشرية شيء آخر , و تبعا لنظرية هيوم لصناعة الانطباعات التي تقول بأن أقصى درجات التصور تبقى دائما أقل من لمسة بالإصبع لشيء ما تجعل منه شعورا و تجربة حقيقية تفوق كل تصور نظري فإن المشي بالرجل بين ردهات هذا العالم لا شك أنها شيء آخر لا يشبه القراءة عنه .

و عندما قالت عادة السمان بأن السفر شيء جميل لأنه يفجر كل بالونات الوهم في رؤوسنا كانت محقة للغاية لأن الكثير من هواجسنا الداخلية ليست هواجسا أصلية جذرية و إنما هي ضجيج لحظي ناتج عن الترف الفراغي و الجذب التنوعي الذي توفره حياة " حبس الأقاليم " , فإذا سافرنا نسينا الكثير من هواجسنا و هذا يدل على أنها هواجس وهمية أو بالونات فارغة ! .

يكن سر ذلك في أن البقاء في مجتمع ما مع وجود بعض الرفض لبعض تفاصيله و كذلك الشعور بعدم القدرة على تغييرها تورث في النفس كآبة ما و ظنا بأن الكون كله صار شيئا ثقيلا ثقل هذه الأشياء التي يرفضها هذا الإنسان فإذا خرج إلى مجتمع آخر و وجد أن هناك تجمعات بشرية كبيرة لا تعلم حتى العلم عن تلك التفاصيل التي يكرهها في مجتمعه السابق وجد في نفسه ارتياحا يقول : لقد تفهت تلك الأشياء حتى لم يعلموا بوجودها و لم تكن شيئا يذكر في

مجتمعهم فتصغر تلك الأغلال في عينه و يرى بأن العالم قادر على تغيير نفسه و أن الجدار الكبير الذي كان يقف في وجهه يوما ما ليس إلا تجربة عابرة ستندثر على مر السنين !.

(13)

شماخر شماخر

**Heil Mimi**

نعم يا ميمونة ! .. أعلنها ثورة نازية !..

سيأتيك المجتمع بوجهه البليد لينشر لك بين يديك كتابه المقدس من الأعراف و القوانين و الخطط المعلقة للفتاة الجيدة , فقومي بتعريته و صلبه فإن لم يكن مقنعا كما يجب فاصنعي محرقتك المقدسة الخاصة و ارميه عاريا في جوفها لأنه لم يكن إلا لصا يلبس مسوح " مبادئ الخلاص " !.

كلهم كاذبون يا ميمي ! , كل الذين يبيعون لك الحكمة المعلقة على أنها إكسير الحياة و السعادة , كلهم كاذبون , لا سعادة في هذه الحياة تضاهي سعادة أن تقومي بنفسك على إنفاق سنوات عمرك و اكتشاف الحقائق بنفسك ! . كل الذين ينصبون أنفسهم حماة للسلام و الطمأنينة هم في الحقيقة دكتاتوريون و طغاة متسلطون يحاولون جرك إلى السجن و هم يضعون رقعة من حرير معطر فوق عينيك ! , لا الكرامة و لا المال و لا المراكز الاجتماعية و لا الزوج و لا الوظيفة و لا اي شيء يستحق أن تتنازلي عن إرادتك في ممارسة الحياة كما تريتها بصدق ! . حتى الذين يوهمونك أنك يحبون لك الخير هم في الحقيقة يحبون أن تنضمي معهم في القطيع تؤانسهم و تكثرين سوادهم و تشعرهم أنهم جديرون بأن يكون قادة لهم أتباع مخلصون !! . هل تعرفين شعور السجن عندما يخرج من السجن بعد ثلاثين عاما تحت حكم طاغية ما و في يده ورقة تثبت أنه بريء تم حبسه بسبب خطأ في محضر الضبط ؟!! . هل تعلمين أن أكبر أمانيه في تلك اللحظة ليس الحصول على تعويض و لكن أن يخرج و يعيش بقية عمره في سلام ؟ هو ذاته الشعور الذي ستشعرين به عندما تدفعين من عمرك عشرة أو عشرين عاما في مكابدة اختيارات ليست اختيارك ثم تلاصقك حتى إذا هلك و انتهت فرحتي و تقلص كل طموحك

فيما تبقى و كأن ما مضى لا يخلصك في شيء !!. هل تعلمين كم هو قاس أن تتنازلي عن شيء من عمرك بعد أن تدفعي ثمن التنازل أضعافا مضاعفة من الهم و الكمد ثم تنجين بما تبقى منك كبشر لتعيشي بآخر رمق من عمرك !!؟. كوني صريحة و حازمة كما تفعلين معي اليوم ! , قولي لمن لا تحببته كما تقولين لأخيك " بكوري " عندما يشد شعرك قولي له : " أنا ما أغليك يا كلب يا حيوان ! " , أخبرهم دائما أنك تستطيعين قول أي شيء في أي لحظة فهذا هو الحل الوحيد ليفهم الجميع أنه لا يوجد ممرات صمت يستطيعون ابتزازك من خلالها ! . أخبرهم أنك تسعين بفشلك الخاص أكثر مما تسعين بنجاحهم من صنعة و سعى له و لم تكوني أبدا تطمحين إليه ! , لا يوجد شيء يأممي اسمه " النجاح " و هو يحدث بالوكالة و النيابة عن الآخرين , لن يكون هناك نجاح إلا إذا كان شيئا يخلصك جدا و تقبلين أن تدفعي ثمنه بكل سرور !.

### Heil Mimi

فالمر عمرك , مصروفك من السنين و الأيام و اللحظات ! , لا تنفقي منه لحظة واحدة في طاعة شيء لا تفهميه و لا تقتني به , فكلنا يا ميمي في النهاية يجب أن ندفع الثمن من أعمارنا , ثمن مواقفنا , ثمن قراراتنا , و نحن وحدنا من سيتحمل النتيجة ! , كل الذين سيسعون في يوم من الأيام لطويك تحت أجنحتهم و لا يتناز سويقات عمرك لتمشي معهم على ما يريدون دون أن تفهمي شيئا لن يدفعوا معك الثمن و لن يتحملوا معك النتيجة , فإن كنت لا محالة مواجهة تلك اللحظات , لحظات الدفع , لحظات الخسارة و ألم فقدان السنين , فمن الأشراف و الأصديق و الأقل ألما لك أن تدفعي ثمن مواقفك الخاصة و آرائك الخاصة و أن تنفقي عمرك .. مصروفك الخاص من اللحظات في الأشياء التي تختارها أنت و أنت فقط !! .

Heil Mimi .. شماخر شماخر !!

(14)

أعطني قلباً نظيفاً

الشيء الوحيد الذي الذي لا يمكن حجبهِ عن القذارة هو القلب تستطيع أن تغمض عينيك و أن تصم أذنيك و لكنك لا تستطيع ابدا أن تغلق منافذ الشعور إلى قلبك و مع هذا نحكم إغلاق الثلاثة على الطعام لكي لا يتلوث و نكتب تاريخ صلاحية الأشياء على قاعها و يبقى القلب وحده من عليه أن يهتم لأمر نفسه و أن يبقى محارباً وحيداً في جسد خائن يدس له الأعداء بين طيات النظرات و الكلمات و المخاطر !.

تنتفخ قلوبنا بالحق و الكراهية و الحسد و الضغينة و كل أنواع السموم القاتلة التي لا يكتب على علبتها " هذه الصفات سبب رئيسي للسرطان و مراض الرئة و القلب و تصلب الشرايين " و أسهل ما يجده أحدنا هو أن يفتح قلبه لكل هوام الأرض لتعيث فساداً في قلبه ما بين مسموع و مرئي , حتى الأرصفة تمشي على قلوبنا و الطرقات و قطط المزابل , كل شيء يعبر من خلال قلوبنا بعد أن يدخل من حواسنا الخمس و نحن نشم و نتذوق و نسمع و نرى هذا العالم من حولنا و القلب يهترئ و يداس و ينفض بيده عن وجهه المسكين بقايا أحذية المارين من فوقه و نحن ندور فاغري أفواهنا , بلهاء يمارسون عملية أشبه بتلك التي تمارسها " الحساسات الإلكترونية " تنقل الشعور و لا تتحمل نتيجته فنحن ثرموستات و سنسرات لا أكثر !.

رأيت طفلين يتشاجران و كان أحدهما يتضح على ملامحه الطهر و البراءة و الآخر يبدو أنه ما ترك قبيحة من فرائد القبح إلا و تعلمها و كان يكيل الشتائم القذرة للطفل " الطيب " و يقول له يا ابن الكلب أمك ... و أبوك .... و أختك .... و الآخر يضم أصابعه على كفيه و يمد يديه و راء ظهره و يقول " أسكت يا حمار " و يردد لها لأنه يعتقد أنها هي أقسى ما في الوجود و لا أظنه

يعرف غيرها ! . شعرت بالشفقة عليه و من ثم شعرت بالشفقة على نفسي و أنا أفكر كم شتيمة  
قدرة أعرفها و كم كلمة أستطيع أن أقولها في وجه ذلك الطفل الآخر لو أنني تكلمت بكل ما  
أعرف ؟؟؟ .

شعرت أنني بجانب ذلك الطفل البريء برميل من القمامة تزينه رزانة الكبار و هندام نظيف و  
نظارة توشي للآخرين بالحلم و الحكمة و النقاء الثقافي !!.

أريد قلبا نظيفا ...

أريد معجما لم يختنق بمفردات البغض و الكراهية ...

أريد سلاما ... و ماء باردا يجري في شرايين قلبي !

أريد ( إنسانا ) لم يتدنس بثقافة الإنسان !!..

(15)

### ليلة الهروب من أميرة

رأيت فيما يرى الراوي أن أحدهم يتحدث إلي و يقول : لن استحي أن أتحدث لك عن مثل هذا خصوصا و أنه كان في فترة الجامعة حيث كل الأشياء مبررة و قابلة للوقوع و إن كان هذا الذي فعلته جريمة فإني استميحكم في ارتكابها رواية من جديد . فقلت له : هات ما عندك ! . فقال : كانت ليلة الخميس و لم يكن من عادتي الذهاب خارج سكن الجامعة إلا إلى مدينة الخبر , و كنت في ثالث سنة لي في الجامعة و في هذه الليلة جاءني قريب من نفس مدينتي الأصلية و قال بأنه ذاهب إلى الدمام حيث يسكن فلان و فلان و فلان و كلهم من أقبائلي غير أنني لا أواصلهم و لا أطيق الذهاب إليهم . خرجت معه بعد أن ألح علي و هو يعدد محاسن الخروج و الذهاب للكورنيش و أنني أعيش في عالم محزن من العزلة و أن علي أن أكون " شابا سويا " يجيد ممارسة أفعال الشباب ! .

عند وصولنا إليهم كانوا يتهيئون للخروج إلى كورنيش الدمام و كانوا يتحدثون عن أي الأماكن أكثر ازدهاما و أين تكثر مواطن الريبة و كنت أكتفي بالاستماع كطفل ينصت لعجائب بهلوانية يذكرها له الكبار من أهله و هم يذهبون به إلى الملاهي أو السيرك ! . انتهى الأمر على أن " جزيرة المرجان " هي المكان المناسب ! . و فعلا توجهنا إلى هناك و نزلنا و كل شخص يتأبط يد صديقه الحميم و هو يهمس له " شوف هناك !! " إلا أنا لم يكن أحد يتأبطني و لم أكن أتأبط أحدا ! .

كانت الرطوبة واضحة نسبيا مع هواء شبه بارد و كانت الجو يختلط بصخب الأطفال و هدوء العوائل الجالسة و نور الأضواء الخارجية البرتقالي يختلط برذاذ الرطوبة فيبدو احمراره واضحا و كانت المسطحات الخضراء تحيط بالمطعم و الكفتيريا في منتصف الجزيرة و الناس من حولهما , و كان هناك ممشى مرصوف بجانب البحر .

مررنا بالمدخل و صادف أن كان هناك خمس فتيات يقفن بجانب فتاة مقعدة و ما أن رأت الفتيات مجموعة من الشباب قادمة و علمن أين سيتجهون حتى تحركن في نفس اتجاههم و إحداهن تقول للفتاة المقعدة: " أميرة حبيتي شوي و نرجع " !! . كل واحد من أصدقائي صار يهمس في أذن صديقه و يلقي له بالتعليمات السريعة لاستغلال الفرصة , و لا أدري لماذا نظرت إلى تلك الفتاة المقعدة التي تركنها خلفهن و كان في عينيها شيء من القهر الدفين المستسلم .

كانت في قرابة الحادية أو الثالثة و العشرين من العمر و كانت تفهم جيدا ما يحدث و تمنى لو أن لها قدمين يمشيان لتحرك خصرها النحيل في طابور صديقاتها و الشباب يهزون رؤوسهم إعجابا بها . نظرت إليها ربما لأنني مثلها فأصدقائي تقدموا بخطواتهم بسرعة و جرأة و حماقة فاستحييت أن أفعل مثلهم فوقفت و عندما نظرت أمامي و جدتها تنظر إلي فابتسمت لها في البداية ابتسامة مشفق عليها و مواسٍ لها و ساخر مما يفعل أصدقائي و صديقاتها فابتسمت و علمت ذلك من عينيها و لم أكن أعلم أنني ضعيف لذلك الحد فقد تحولت هذه الفتاة في عيني إلى أجمل فتاة في الجزيرة ! . تداركت نفسي و خشيت أن تفهم أنني أغازلها فتأمل في شيء لا أستطيع منحها إياه فأزيدها حزنا إلى حزنها فتحركت و أدت ظهري لها حتى دخلت في كومة من الأشجار المحيطة بالمطعم و أنا استرق النظر إليها لأرى هل جرحها تصرفي هذا ؟ .

أخذت تدور على كرسيها و تثبت يديها على عجلاته و تنظر يمينا و شمالا ثم سكنت و أدارت ظهرها إلى الجهة التي ذهبت إليها . أخذت أراقبها من بعيد و الأطفال يلعبون من حولها بالكرة و بعد ربع ساعة تقريبا مدت يديها فألقوا إليها بالكرة و أخذت تلعب معهم ثم قررت العائلة القريبة منها أن ترحل فرحل الأطفال و الكرة و بقيت أميرة وحيدة تنتظر صديقاتها فشعرت بمرارة الوحدة و العجز الذي تشعر به الآن ! . في هذه اللحظات مر عامل الكفطيريا و كان عائدا من إيصال طلب لعائلة ما في آخر المسطحات الخضراء فنادته الفتاة تريد أن تطلب شيئا ففتحت حقيبتها اليدوية لتعطيه النقود و يبدو أنها نسيت أن تصطحب النقود معها فأشارت له بعد أن فتشت شنطتها بأن يذهب فذهب ! .

طال انتظارها لصديقاتها و كثر توافد الشباب إلى الجزيرة و كلما نظر إليها شاب تكلم مع صاحبه فكنت أستطيع أن أفهم من حركاتهم السخيفة أن أحدهم يقول للآخر : " والله خايف أن ما ترضى فيك إلا هذي ! " . كانت هي تشعر بذلك فأخذت تحرك عجلات المقعد لتبتعد عن المدخل و كانت تقف على أرض مزروعة بالنجيل فكان منظرها و هي تدير العجلات بصعوبة و رأسها يهتز منظرا مخجلا تفوح منه رائحة العجز و الضعف و النقص خصوصا و أنها فتاة في مكان عام فما أن استطاعت أن تصل إلى شجرة قريبة فتوارت خلفها عن المدخل و وقفت , شعرت برغبة بالذهاب إليها و لكنني خجلت من أفعل ذلك ! .



توجهت إلى شباك الكفتيريا و كان خلف ظهرها فاشترت عصيرا مثلجا فجاء طفل في العاشرة من عمره و كان يبدو مرحا للغاية فتجرات على طلبه فقلت له : " أنا رايح للسيارة أجيب أغراض نسيتها فيها , عشت الشاطر تودي العصير هذا لزوجتي ؟ " . فقال الطفل : " وينها ؟ " فأشرت إلى الفتاة و قلت له : " إذا عطيتها العصير قل لها هذا عطاني اياه زوجك و قال لي روح للي جالسه على الكرسي و قول لها هذا من زوجك حبيك " . فابتسم الطفل و في عينيه شيء من الخجل و قال : " هذا من زوجك حبيك " فقلت : صح ! شاطر . فذهب و هو سعيد بهذه المغامرة السحرية و هربت أنا من المكان و عدت إلى مكاني القديم خلف الأشجار .

كنت أستطيع أن أرى ابتسامة عينيها من على بعد أو هكذا خيل إلي و قد أدارت الكرسي باتجاه الكفتيريا , ثم أخذت تشرب من العصير , مرت مدة غير قصيرة و هي تشرب و تنظر يمينا و شمالا و لعل مشوار الطفل هذا قد جعله يحبها أيضا فعاد إليها و معه بالون منفوخ و آخر جديد فأخذت تنفخ البالون ثم تكلمت مع الطفل فأخذ يدفع معها الكرسي فتوجهت نحو الرصيف المحيط بالكفتيريا فعلمت أنها تبحث عني ! .

كان الطفل ينظر من وراء الكرسي و هو يهز رأسه كأنه يقول " ليس هذا " كلما مر شخص من أمامه و فجأة تركها و ذهب يركض لينظر في وجه رجل كان مديرا ظهره لهم فأطل في وجهه ثم عاد و هو يهز رأسه فتقنت أنها تبحث عني بالفعل فشعرت بخوف من أن تجدني فأضطر لتبرير ذلك بأي تصرف أو أن يفضحني الطفل بين الناس فهربت إلى الباب الآخر للمطعم و صعدت إلى الدور العلوي و أخذت أراقبها من هناك ثم اختفت بين الناس و ما هي إلا لحظات و إذا بها تعود و لكن هذه المرة مع زميلاتنا الهاريات منها و كانت علبة العصير مازالت في يدها و في هذه الأثناء كان أصدقائي قد عادوا أيضا فتعمدت أن أنزل و أن أمر من أمامها و كنت خجلا فما أن رأني حتى ابتسمت عيناها فنظرت أنا إلى علبة العصير و ابتسمت فعلمت الآن أنني يقينا من فعل ذلك فشعرت بارتباك رهيب و فرحة كبيرة تجتاحها فانطلقت مسرعا إلى أصحابي و أنا مسرور جدا و هم يقولون : " والله شكلك لاقى لك بلوى !! " فقلت : " يمكن !! " لم أنم تلك الليلة من السعادة و كنت أشعر فعلا أنني عاشق متيم و كنت أعلم أيضا أن أميرة الآن تحتضن علبة العصير و تشعر بأنها من أجمل نساء الأرض و أنها عاشقة متيمة , و كان هذا يكفيني ! .

فكانت شخصا عابرا مر في حياتي أذكره إلى اليوم و ربما هي أيضا تذكرني , لم تجمعنا شهوة جسدية و لا نهمة صبيانية و كانت تعلم أنني لا أريد منها أكثر من ذلك و أنا أعلم أيضا أنها لا تريد مني أكثر من ذلك ...  
و كان هذا يكفيني !! .

## (16)

### حواس متسولة

لا شك أن الإنسان بجموعه " كائن موجه " فهو لا يتحرك إلا عن رغبة أو نية و كما قال ابن تيمية : " لو كلفنا الإنسان العمل بلا نية لكان هذا من التكليف بما لا يطاق ! " . و دوافع الإنسان قد تكون فطرية غريزية أو مسلمات مكتسبة كالعرف أو ميول شخصي كالعادة أو قضية فكرية كالتساؤل و البحث و محاربة المجهول , و كل هذه الأشياء تخرج على شكل انقياد فعلي عملي يتأرجح بين الهوى و الحكمة . هناك أشياء نتورط بها منذ الصغر على هيئة أفكار هي بحاجة لنقد و مراجعة فهناك من يكبر و يستطيع صناعة " ذات مستقلة " يمارس من خلالها النقد و تفحص الأشياء و هناك من يبقى ساذجا بكرتونه , كما يقولون ! . و لو تأملنا الكون من حولنا لوجدنا الصفة المضطردة فيه هي " التغير " الناتج عن حركة " الزمان و المكان " فكل شيء يتغير , فأنت و أنت تجلس في موضع واحد هناك ما لا يحصى من التغيرات يحدث بداخلك على المستوى العضوي و النفسي , فلا يوجد شيء ثابت سوى " القناعات المعبلة " , ف " المادي " يتغير باستمرار بينما " المعنى " قد يتحول إلى شيء ثابت إذا وجد جمجمة تشكل له " المتحف المناسب " فيبقى كما هو بكامل أبهته كتمثال أختاتون الذي مازال يمسك بالسيوف و الرماح و على رأسه تاج الملك , و لهذا ينبغي الانتباه لهذا , فبعض الأشياء تبقى بكامل زخرفها ليس لأنها قوية و فاعلة للغاية و لكن لأنها محنطة لا تمتلك أي ذرة حياة فينخدع بها الذي لا يرى إلا من خلال ثقوب عينيه .!

و قديما عندما كانت الحياة بسيطة و التغير الاجتماعي بسيط لا يذكر كان بإمكان أي أحد أن يعيش بأمان و بأدنى المبادئ و أبسطها و أن يحافظ عليها بسلام حتى يموت فيعيش حياة مستقرة ثابتة النسق , و لكن هذا الأمر اليوم غير ممكن فلم يعد بإمكان أي أحد تصور العالم

غدا و لا القدرة على أن يحافظ على أقل القليل من مبادئه دون أن يحدث لها خلخلة و ارتجاج نتيجة الاقتحام القسري الذي يصبه الإعلام في عيوننا و آذاننا فنحن اليوم عجينة طرية في يد فنان مجنون لا تستطيع أن تتوقع على أي شكل سوف يركبها ! .لهذا فإن الجيل الذي يعيش هذه المرحلة من التاريخ عليه أن يصنع ثقافته الشخصية بنفسه ليواجه هذا التدفق المعرفي , فيعرف كيف يتعامل من منظور تقييمي نقدي. و المشكلة تكمن في أن الإعلام بكافة أنواعه الجيد منها و السيئ هو عبارة عن " تطبيقات " لأفكار ما , تخرج على هيئة فعلية قد تكون ساذجة أو متهاونة أو غير كبيرة القيمة , و تضرب مثالا لذلك , فلو ذهبت إلى سوق الخضار فستجد كل الذين يتكلمون عنها يتكلمون من منظور تطبيقي ( أكل ) و يرددون عبارات تسويقية أو ترحيبية ثم تعود من السوق و أنت تحمل فاكهة ما , مع أنك لا أنت و لا كل من في السوق يعلم ما هو التركيب الحقيقي لهذه الفاكهة و لا كيف تزرع و مع هذا فأنتم أكثر من تكلم عنها و تداولها بينما يقبع عالم نبات فقير في دولة فقيرة في جامعة رديئة البناء في أقصى الأرض و هو يعلم عنها من المعلومات بعدد شعر رأسي و رأسك و رأس من ستقدمها له و لكنه غائب عن " المشهد الحي " الذي هو شارع المدينة و سوقها ! .المدينة هي الإعلام و الفاكهة هي المعلومة و بائعها هو الإعلامي و شاربها هو المشاهد و العالم الفقير هو كتاب طبع قبل عشرين عاما تعلوه البراغيث في مكتبة في سوق قديم لم تحمله الفنانة فلانة في دعاية تلفزيونية و لا اللاعب فلان على قميصه في نهائيات البطولة , ثم ينتج لدينا مجتمع مخدوع أجوف حصلت في نفسه "عملية إزاحة و إحلال " لكثير من مبادئه و مفاهيمه فتغير بداخله معنى الكون و الإنسان و الحقيقة و الثمين و التافه فصار محل خرداوات تحشوه بضاعة مزركشة رخيصة .

لهذا أقول : اضرب على جذور الأشياء و ابحث عن تراكيب هذا العالم و تراتبيه الاجتماعية و ماهيته التي تديره و لا تهتم كثيرا للقروء الراقصة على المنصات , فالحقيقة في الكتب و البحث و التنقيب , حيث تختار الحاسة المحسوس و الفاهمة المفهوم , فتكون كمن يحمل سلة و يقطف فيها من الثمر بينما ثقافة الإعلام تجعلك متسولا يفتح سلته في الطريق لكل من يرمي بها أي شيء!!.

(17)

### أحزان رجل آلي

كان يجلس في مروج الأرض الخضراء خاليا من كل شيء إلا التأمل و النظر في جماليات الأشياء و أسبابها و غاياتها و كان ضعفه و قلة حيلته يثير بداخله الكم الهائل من التصورات و الأحلام و الأمانى حتى أنه كان يفكر بصناعة شراب يسميه " إكسير الحياة " فيشربه فلا يهرم و لا يموت , و كان يرى القصيدة قصرا منيفا من العلم و المعرفة و الشعور و كان يرى الأخلاق و السمات البشرية تكاد أن تكون كل شيء لأن الناس في حينه إنما يعيشون بسماتهم النفسية كالشجاعة و الكرم و الحب و الرفق بالآخرين في التعايش معهم و معاشرتهم , فهذه هي الحياة , مليئة بالسلوك و الخصال و السمات البشرية , بل حتى الحيوان كان ينظر إليه على أنه صديق يستحق أن يكتب فيه القصيدة و أن يحبه و يتفهم طباعه و يؤلف فيها المؤلفات !.

هكذا كان الإنسان , يمارس آدميته و يلاحظ نفسيات البشر من حوله و يميزهم عن بعضهم بمقدار ما فيهم من خصال ذاتية لا تنفك عنهم , قد ترفعهم و قد تخفضهم , و عليها يوالي المجتمع بعضه بعضا و عليها يعادي , و اليوم انتهى كل هذا !.

عندما كتب "أوسكار وايلد" روايته " العندليب و الوردة " كان يمر بشيء يشبه ما يمر بنا الآن , حكاية العندليب الذي ضحى بحياته لأجل أن يصبغ بدم قلبه وردة صفراء إلى حمراء فيأخذها عاشق إلى حبيبته فترضى عنه و في النهاية و بعد أن لفظ العندليب أنفاسه و حصل الشاب على الوردة الحمراء قالت له حبيبته " إنها لا تناسب لون ملابسى !! " فألقاها فمرت من فوقها عجلة المركبة فسحقتها , في إشارة منه إلى موت " طبائع الأشياء " تحت عجلة الآلة , ثم يحبط العاشق و يقول علي أن أتعلم فلسفة النظر الجدلي و أن أكون واقعيا فالحب و المشاعر تصور

لنا الأشياء على غير حقيقتها و نحن في زمن واقعي لا يقبل تغريد العنديل و لا لون الورد  
الحمراء كئمن للسعادة و الحصول عليها ! .

كلنا نعيش اليوم و بداخلنا شعور يقول " أنت في مهمة مستعجلة " فتجدنا متحفزين و متأهين  
نتظر الأمر و التوجيه أو تجدنا نفكر في الريال و الآلة و سيراميك الشقة الجديدة و متى ستكون  
زيارتنا للمطعم الفلاني أو المحل الفلاني بنهم مريض للركض بين الأشياء , و قد يتحول حذاء  
طفل لم يبلغ السنة إلى قضية كفاح و نضال بين شوارع المدينة و أزقة الأسواق فيها . لقد ضل  
الإنسان الطريق إلى ذاته " هاربا إلى الخارج " فصار لا يدري ما هو المهم و ما هو الأهم و ما  
الذي يلزمه و الذي لا يلزمه و أرخى وكاء كيس العمر لينتشر هكذا بلا روية و لا حكمة كما ينثر  
لثام المتصدقين دقل التمر على قارعة الطريق إلى الحرم ! . لم يعد الآدمي قادر على ممارسة  
خصالة ككائن سوي فلا يدري متى يكون شريفا فارسا و متى يكون وضعيا محتقرا و متى يكون  
النصر نصرا و الهزيمة هزيمة , و متى تكون " لا " هي لا , و " نعم " هي نعم ! , و كل الناس  
في نظر هذا الإنسان في صورة رمادية لا أعداء و لا أصدقاء و لكنهم " وصلات كهربائية " قد  
نحتاجهم لتوصيل التيار في يوم ما لأمر ما , لا أكثر ! . لم يعد تقييم الأشياء له علاقة بحقيقتها  
فكل قيمة البشر هي من قيمة ما يتعلق بهم من مال و شهادة و وظيفة أو حتى كذبة متعلقة  
بأهداب كاذبة تلف رأسها بحجاب و تحزم خصرها و نهديها و فخذها في رداء بحجم جورب  
رجلها , أو قد تكون القيمة في أصماخ فتى يلبس نظارة الكاريرا و يحسر كم قميصه عن  
عضلاته ! . لم يعد لـ " المعنى " مكان بيننا ! .

كلما استيقظت لأني يجب أن أذهب إلى العمل قبل إقفال دفتر الحضور علمت أنني مستعبد و  
أنني أحمل في صدري ساعة زرعها غيري تحكمني أكثر مما أحكم أنا نفسي , فيضيع نصف  
اليوم و أنا أمارس ما يطلبه الآخرون و أنفذ ما يمليه علي من له الحق في استهلاك عمري في  
هذه الفترة من اليوم , ثم أخرج و أنا أفكر فيما تبقى من مهام و فيما سيأتي , و لا تزال " أشياء  
الآخرين " تلتهم اهتمامي فتضيء الإشارة الضوئية و أنا غارق في تفاصيل لا ناقة لي فيها و لا  
جمل فأندارك المرور إلى الشارع الآخر الذي يمر بالبقالة و المغسلة و دكان الخضار التي أعرفها  
جيذا فتشير بداخلي تفاصيل أخرى لا تعينني في شيء , مكونات الحلوى التي ستصنعها زوجتي  
لنساء لا يعنينني في شيء و ثوبي الذي يجب أن يكوى لدى المغسلة لكي أقابل به الزملاء غدا  
في العمل أو أذهب به إلى حفلة صفراء كاذبة و محل الخضار الذي يزودنا بالخضراوات التي  
ستنتهي إلى القمامة قبل أكلها لأن أهل البيت ليس لديهم من الوقت ما يكفي لممارسة الحياة  
الطبيعية , ثم أمر بورشة إلى جنب محطة الوقود فأتذكر أن علي إصلاح سيارتي و كم سيكلفني

إصلاحها لكي أذهب بها إلى العمل و أحضر بها المناسبات التي لا أحبها و أحضر بها الأغراض المنزلية التي لا أحتاجها ! .

و ما أن أدخل إلى بيتي و إذا بكل آلة تفتح فمها كفم القرش الأزرق تريد أن تلتهم حفنة ساعات من عمري , الكمبيوتر و التلفزيون و الجوال الذي سأضعه على العام لأبدأ بتأليف الأكاذيب لكل متصل يعتقد أنني قرده الخاص الذي عليه أن يصنع له البهجة و السعادة كلما مل من حياته الباهتة و جلس ينقف أنفه ! . و لن يمر الوقت الكثير حتى أجد نفسي قد أغمي علي في حالة نوم هي بحد ذاتها وسيلة للقيام باكرا و تكرار ما قد حدث من جديد ! . حتى ميمونة الصغيرة تغيرت و تعلمت أساليب الأنذال , تمد البطاطس إلي و هي تقول " هممم هممم ؟ " فأقترب منها و أفتح فمي فتعيدها فجأة إلى الكيس و هي تقول " نا نا نا !! " , لماذا كل الأشياء تتغير إلى الأسوأ ؟؟ .

ليت الذي صنع لنا الجوال علمنا كيف نصنع الغياب و الاشتياق , فأنا و الله لا أذكر متى آخر مرة اشتقت فيها لكائن بشري ! , و ليت الذي صنع الانترنت و التلفزيون علمنا كيف نصنع أنفسنا بدلا من أن نتحول إلى " كيس شحاذ " يدس فيه فتات أوساخ الناس و هو يحسب أنه من الماكربين الحذاق ! , و ليت الذي دلني على مكتب العمل لأقف في طابور الكائنات الباحثة عمن يستهلكها كان قد دلني على مكتب يستقبل الذين يبحثون عمن يروج لهم منتجاتهم من كل شيء , أحلامهم و أمانيتهم و قصائدهم و المعاني الجميلة التي تغص بها حناجر قلوبهم ! .

ليت الذين زرعوا الساعة في صدري علموني متى ستتوقف عن الدوران , و لماذا تدور بهذه السرعة , و لماذا لا ينزعونها من صدري عند الخروج من العمل أو حتى المدينة بأسرها ! . ليت الذين قايسوا أعمارنا بقطع حديد الجوالات و الرسيفرات و الكمبيوترات و السيارات و كيف نستخدم كل ذلك و كيف نصنعه تركوا لنا شيئا من أعمارنا ليس داخلا في الممتلكات المنقولة و غير المنقولة , و ليتهم علموا أنهم قتلونا قبل أن يمنحونا الحياة المتحضرة التي يمنون علينا بها ! . هذه الحضارة التي حولتني إلى ساعة رملية تتحرك مكوناتها باستمرار لكي يضبط الآخرون أمورهم ثم يقلبونها على رأسها في كل مرة لتتحرك الرمال من جديد و لا يهمهم أن تقف هي على رأسها طالما أن ذلك يوفر لهم البقاء على أقدامهم بشكل صحيح !.

لا أذكر متى آخر مرة ركض خلفي جرو صغير و هو ينبح ! , و لا أذكر متى آخر مرة قبلت فيها حملا وديعا ! , و لا أذكر متى آخر مرة قذفت بعصفور صغير إلى السماء ليطير بعد أن وجدته ساقطا تحت ظل شجرة ! , لا أذكر متى آخر مرة وضعت فيها الحليب في صحن بلاستيكي

لقطة ولدت تحت سلم بيتنا ! , لا أذكر أبدا متى آخر مرة تعاملت فيها ككائن " يشعر " مع أي حيوان على سطح هذا الكوكب على نحو شخصي و مباشر !! . لا أذكر متى آخر مرة حسرت فيها عن ساقى و غمستهما بجدول ماء يجري و خرب الماء يدغدغ خلجات نفسي , و لا أذكر متى آخر مرة حملت غصن شجرة في يدي و أنا أنظر إلى تفاصيل عروقها على وجه الورقة ! . لا أذكر متى آخر مرة جلست إلى آدمي أتحدث إليه و أنا لا أريد أن أتحدث لأحد سواه ! . باختصار : لا أذكر متى آخر مرة كنت فيها إنساناً !! .

(18)

### الإنسان البيسي كولا

كانوا يقولون قديما " طفح الكيل " ! , و هذا لأنهم يعلمون تماما من يكيل و يعرفون المكيال و يدركون حقيقة ما يكال لهم و من أي صنف هو , و لهذا كان للناس قديما مرحلة يصل فيها الشخص إلى " الطفح " فيبدأ يفيض مما بداخله إلى ما حوله من الأشياء فيحدث الإنتاج و الإبداع و يتشكل التاريخ على يدي البشر بكافة انطباعاتهم تجاه الأمور , على العكس منا اليوم فنحن نكيل من كل شيء أو بالأصح يكال لنا من كل شيء و نحن لا نعرف مكيال أي شيء يكال لنا و متى ينبغي أن " يطفح الكيل " , و علاوة على جهلنا الكبير بالأصناف التي " نطفحها " فنحن كل يوم نزداد اتساعا في الاستيعاب للأشياء من حولنا , و هو ليس استيعاب إحاطة بقدر ما هو استيعاب " عباطة " , لهذا لا ندري متى ينبغي أن نشور على الأشياء المقرزة من حولنا و لا ندري متى يفترض بنا أن نصنف أنفسنا ككائنات " متشعبة " من شيء ما ! .

و لأجل هذا كله فنحن لا نصل إلى " قناعة رزينة " تجاه الأشياء لأننا دوما يكال لنا شيء ما بمكيال ما إلى أمد ما و نحن نقبل ذلك لمجرد أننا نظن أن هذا هو طبع الزمن الذي نعيشه و أنه لم يثن الأوان لهذا الأمر أن يطفح كياله ! .

و في يوم من الأيام قرأ سيويه عصره جلال الدين السيوطي قصة لأبي العلاء المعري تقول : دخل أبو العلاء المعري على الشريف المرتضى فعثر برجل فقال الرجل : من هذا الكلب؟ . فقال المعري: الكلب من لا يعرف سبعين اسما للكلب !! .

و عندها قال السيوطي فتتبع أسماء الكلب في كتب اللغة فوجدت أكثر من سبعين اسما فنظمتها في أرجوزة " التبري من معرة المعري !! " . و نحن اليوم يكاد أحدنا أن لا يعرف شيئا سوى أسماء مفاتيح الريموت و لا نشعر بشيء من المعرة و لا نحاول التبري و لا يطفح كيلنا , و نستمر نفتح أعيننا و آذاننا كمواسير مياه السبيل لا يدرى من أين يأتي ماؤها و لا إلى من سيذهب و كل ذلك عندنا نوع من " الوضع الطبيعي ! " . لم يكن غريبا أن يتحول الآدمي اليوم إلى شخصية " الإنسان البيسي كولا " فهو يشبه كل من حوله من العلب الأخرى و يستخدم كاستخدامات غيره في تسهيل عملية الهضم الاقتصادي لأغراض المجتمع و لا يمتلك فكرة واضحة تؤهله للتحكم بما في داخله فهو إنسان انطباعي انفعالي ساذج للغاية لا يختلف عن أي رجل من العهد الرعوي , و يعتقد البعض بأننا من المتحضرين لمجرد أننا صرنا نمارس أشياء تقنية لا يمارسها الرعاة قديما و لكننا في الحقيقة نعاني من " أعراية التصور " لأنفسنا و للأشياء من حولنا , و لهذا تجدنا نفشل فشلا ذريعا في استخدام ذواتنا خارج نطاق " الأجندة الحمارية " التي يفرضها علينا المجتمع , فنحن نكدح في الوظيفة و نجيد طاعة "ولي القبر " في العمل و ننفذ كل ما يطلبه منا المدير ثم إذا رجعنا إلى المنزل تورطنا بأنفسنا فلا ندري ماذا نصنع بها , فهذا ينبطح أمام التلفزيون و هذا يستلقي على قفاه في حديقة عامة و هذا يغتاب و هذا ينام على طريقة البيات الشتوي و هذا , و هذا , و هذا !! , و كلهم في النهاية يعانون من شيء يسمونه " مشكلة الفراغ !!! " , و في يوم من الأيام اتصل علي صديق في ساعة متأخرة من الليل فقلت له " خير إن شاء الله ؟!! " , فقال : " لا و الله مافيه شي بس صحيت آخر الليل و ابتلشت بنفسي مدري وش أسوي قلت أتصل عليك !! " . يقولون فراغ ! , و الصحيح أنها ليست مشكلة الفراغ و لكنها عقيدة السخرة و العبودية الوظيفية التي سرقت منا معنى " الغاية في الحياة و العمل " و جيّرت أعمارنا تحت هالة من الاستسلام الأبله من قبلنا لمصالح أناس آخرين , و الغريب أنه سعد الناس بها و جعلوها قيمة مستقلة تشكل " ثقل الآدمي " في المجتمع مع أننا لو نظرنا لكل موظف - إلا من رحم الله - لوجدنا أن وظيفته بالنسبة له ليست إلا " أكل عيش " , لا تختلف عن نظرة حمار العنابي و هو الذي يدور يبيع العنب كل يوم على الناس فإذا جاء الظلام وضعه صاحبه في زريبة و قدم له حفنة من التبن و هو يأكل و ينتظر متى تشرق الشمس ليقوم بعمله العظيم من جديد ! .

و نحن بين " أكذوبة القيمة الوظيفية " و بين " الشحن النفسي " من مواد المجتمع نتشتت و نتحول إلى نيجاتيف مليء بالصور لا يجيد إلا تذكر الأشياء و لا يجد لنفسه فرصة في التفكير بشكل مستقل أو حتى على الأقل التفكير إلى الأمام , و يصبح العقل ليس له وظيفة سوى تذكر الأشياء الجديدة الكثيرة التي مرت عليه خلال اليوم سواء في العمل أو نشرات الأخبار أو



أحداث المسلسل الفلاني أو حتى الإعلان الفلاني على عمود الكهرباء و ينسى تماما أن هناك مساحة كبيرة اسمها " التفكير المستقل و التأمل " فلا يستطيع انتشال نفسه من شريط المستجدات التي لا يطفح كيلها أبدا باعتبار أنها تتجدد كل يوم , مع أن لها " ذات العلة و الغاية " غير أنها تجيد تغيير ملابسها بسرعة كعارضة الأزياء و هو ينظر في كل مرة و يتصور أنه يعيش شيئا جديدا ببساطة لأنه لا يعرف " أصناف الأشياء " التي تكال له و ليس لديه تصور حقيقي مكتمل يوحى إليه بأن كثير من المشاهد قد اكتملت و قد آن الأوان للكيل أن يطفح و أن يكون له رأي ناضج يعبر عنه تجاهها , و سيقى هكذا طفلا يتعلم رضاعة الأشياء لمجرد العيش و مشاركة بقية الناس في " الوضع الطبيعي ! " الذي يمارسونه أو يمارس عليهم !.

## (19)

### ميمي الحزينة

دخل " بكر " الصغير إلى حياة ميمونة و سرق منها أمها ! . لا أحد يدرك ما الذي تمر به ميمونة الآن حتى أمها نفسها و لا أظن أن أحدا يشعر بميمونة مثلي ! . ألمس على قسما و وجهها البريء مسحة حزن و " نبد " و هي تشير بإصبعها الصغير إلى أخيها الجديد و تقول : " نونو " ! . تشبه شعوري عندما أخبر أحد أخوتي بأن فلان الثقيل يرمي بكل ثقل دمه الآن في مجلس بيتنا و ينتظر أن نقدم له فروض الضيافة ! .

تعلم ميمونة تماما أن كل التغيرات الحادثة في البيت هي بسبب الـ " نونو " و أن هناك حدثا غير قابل للتغير قد وقع و أن هذا الشيء الصغير الذي لا تدري من أين جاء كان شيئا يشبه الرسوب في مادة لم تتوقع أنك سترسب فيها . و مع هذا كله نمارس عليها صلافة الكبار و جلافتهم و نقول لها " حبي النونو " ! " النونو حلو ؟ " فتهمز رأسها الصغير و تقول : " إيه !! " . و أحدهم يقول لي مباركا : " جاك اللي يرخص ميمونة عندك !! " .

ربما لأنه لا يعرفني أو لا يعرف ميمونة ! , ميمونة التي معها شعرت بأول هم الأبناء و التي علمتني ما معنى أن أكون أبا , ميمونة التي رافقتني في تجربة الأبوة و صبرت على أخطائي و تجاوزت عن حماقات حديث العهد بالعزوبية , ميمونة ذات اليد الأولى التي بعد أمي مدت لي قطعة الطعام و هي تقول : " يا لله هممم !! " فأفتح فمي لها و لم أفتح له أحد قبلها ! .

ميمونة التي عندما رأيته أصرخ و أتذمر و نحن نحاول تغيير لفافة جرحها من حرق القهوة و رأته أمها تبكي سكنت و لم تتألم و أخذت تبتسم و تقول " به حطي دهون !! " , قد لا يتصور أحد أن هذا يحدث من طفلة عمرها لم يتجاوز السنة و سبعة أشهر و لكنه حدث و رأيته ثم قامت و ذهبت من بيننا لتجلس في الصالة و تضع يديها في جرحها و كأنها تقول سأترككم لكي لا يحدث الذي حدث من جديد ! . لحقت بها و قبلتها و لأول مرة أشعر بشيء اسمه " حكمة الروح " التي تتجاوز الجسم و حجمه و العمر و سنواته , ميمونة لا يرخصها بكر و لا قبيلة من مثله من الذكور , هو ولد نرجو من الله أن يصلحه و أن يمد في عمره على طاعته ثم إنها الأرواح و العقول و الشخصيات بعيدا جدا عن عنصرية الأعضاء التناسلية و فشخرة طابور الفرسان ! .

## (20)

### يحكى في الحب

لا يوجد حب بلا احترام و تقدير و تذلل , فالحب بلا احترام طمع و الحب بلا تقدير استغلال و الحب بلا تذلل احتكار ! , و حسب فهمي للحب أرى بأن الحب شعور لحظي يأتي و يزول كأى شعور عارض في حياة الإنسان تماما كالفرح و التفاؤل و الغضب , و هكذا ! . كما أنه لا يمكن أن يكون هناك حب دون أن يبنى على " قاعدة نفعية " مثل الجمال أو أي منفعة أخرى قد تكون أيضا معنوية و لكنه لا ينشأ من لا شيء إلا على وجه التضحية المحضة ! , كما أن الحب لا يمكن أن يقوم دون مبدأ الشراكة و الحكمة و النضوج الطبيعي و العقلي , فأن تقدم وردة لحبيبك فهذا حب , و أن تقول لها أحبك فهذا حب , و أن تتقدم لخطبة فتاة جادا في ذلك فهذا التصرف كتصرف هو تصرف حب , و أن تقوم في الصباح لترتدي ملابسك بسكون و هدوء لكي لا تززع زوجتك فهذا حب , و شيئا فشيئا يتحول الحب من تعابير واضحة و صريحة إلى تصرفات و نتائج لأفعال قد تبدو لا علاقة لها بالحب ! .

الحب شيء ديناميكي متغير , يتحول و يتشكل و يزيد و ينقص كالإيمان في قلوب الناس , و هنا يأتي دور الحكمة و النضوج الطبيعي و العقلي في صناعة الحب و استيعابه و الشعور به , غير أن الكثير من النساء تتابع مسلسلات الحب التي هي مرحلة بدائية جدا في فهم الحب , حب

الاعجاب و حب مطاردة الحبيب و حب الكلام الجميل ثم تنظر حولها لتبحث عن هذه المرحلة و هذه التصرفات ! . و أذكر أن امرأة غضبت ذات يوم فقالت عبارة بالفعل أثرت بي كثيرا قالت : " الزواج خدعة كبيرة !! " . و فعلا عندما تنظر للزواج على أنه " تحقيق حلم سابق " ستجد أنه سيتحول إلى خدعة كبيرة لأن الزواج سينقلك من طور " الأمانى و الأحلام " إلى طور " المهام و الواجبات " فقديمًا كنت أنت من يصنع حياته بالتمني و بالأحلام ثم وجدت أنك اليوم محروم تماما من ذلك لأن المتاح حاليا فقط هو " الصراع و العمل " .

في هذه المرحلة بالذات , مرحلة " ممارسة المتاح " و تنفيذ ال " ينبغي " لن يكون هناك حب مطلقا إلا إذا كان هناك شراكة فعلية في ممارسة الحياة و مواجهة الواقع , سيكون هناك نوع جديد من الحب و هو الحب المبني على المصير المشترك , على الدعم النفسي , على الوقوف بصدق مع من تحب ليكون أفضل و أكثر قدرة على الاستمرار معك كشخص له قيمته و كرامته التي تؤهله لأن تستمر في التذلل له , و هكذا نعود من جديد لأقطاب الحب الثلاثة ( الاحترام و التقدير و التذلل ) , فالحب كائن حي يكبر و يتغير و تبدل ملامح براءته و قد يخرج الشعر في وجهه و قد تتساقط أسنانه و قد يصاب بتشوهات و عاهات و لكنه يبقى كأى إنسان قد يتعرض لمثل هذا , يبقى قابلا للحب و له قيمته و احترامه ! .

(21)

نصييينا من الأشياء

نحن نحزن لأننا نعتقد بأننا لم ننل ( نصييينا ) المفترض من شيء ما !  
نحن نقلق لأننا نخشى زوال ( نصييينا ) الحالي من شيء ما !  
نحن نشعر بالخوف لأننا نخشى أن لا ننال ( نصييينا ) المفترض أو المأمول من شيء ما مستقبلا !  
كل هموم الدنيا تنحصر تحت هذه الأشياء الثلاثة ! و كل الثلاثة تنحصر تحت كلمة واحدة و هي " نصييينا " من الأشياء !. و لكي نعالج كل هذه الأشياء علينا فقط أن نفهم ما هو " نصيب " الإنسان من الأشياء حوله ؟!

لا تسأل نفسك ما هو نصيبي المفترض أو الذي " ينبغي " أن أحصل عليه و لكن اسأل نفسك ماهو المعنى الحقيقي لمفهوم " مقدار نصيبك " من الأشياء ؟ . و لو تأملت أكثر ستجد أن هذا المفهوم متعلق بشكل جذري بقناعاتك الخاصة فقط لا غير و هذه القناعات يفترض بها أن تكون أفكارا جذرية تمارسها شخصيتك بشكل تلقائي دون تردد , و كلما زاد جهلك بمعاني " الإنسان " كإنسان كلما زاد جهلك بنفسك , و كلما زاد جهلك بقدراتك الخاصة كشخص مستقل له ما ليس لغيره من الصفات كلما زاد جهلك بنفسك , و كلما زاد جهلك بنفسك صرت

تستلف القناعات من الآخرين و تحيا عليها بشكل غبي أبله و كأنك في حالة من " الدينايل " عن كل شيء يتعلق بك و يخصك وحدك !.

الناس يعتقدون بأن مشابهة الآخرين أمان حقيقي و الصحيح أنها أمان ميت كما يأمن الميت أن لا يطلق عليه الرصاص لأنه ميت اصلا فلن يطلق أحد عليه الرصاص ! . الأمان الحقيقي في صناعة قناعات خاصة لا يضرك أن يخالفها الناس و لا يعنيك أن لا يؤمن بها الكثيرون غيرك , هنا فقط سيكون لك " نصيب " من الأشياء أنت من يحدده و يعرفه و يرضى به ! , بينما الذين يعيشون على قناعات الآخرين تجد أنهم يتورطون في " نصيب الآخرين من الأشياء " فالذي يرى الوظيفة هي الشيء المحدد لقيمته في الحياة مثلا , محاكيا و مشابها في ذلك الكثير من الناس فسيتورط بكونه يطلب المنصب الأعلى و ينفق كل حياته ليصل إلى أعلى ما يمكن أن يصل إليه في هذه القناعة حتى و إن تحول إلى حمار في هيئة بشر يكد الليل و النهار و لا يعيش من حياته بشكل حر إلا ساعات نومه !.

القناعات الخاصة تخرجنا من مضمار السباق الأعمى إلى مضمار السباق الإنساني النخبوي , فلو كان هناك ثلاثة رجال كلهم على مضمار سباق الجري فكلهم لديهم نفسك القناعة و نفس الطموح و نفس التحدي فلو أن هؤلاء الثلاثة وصلوا خط النهاية في نفس اللحظة فكل سباقهم سيكون لا معنى له ! , و هكذا الذين يشاركون الناس بالمشابهة في سباقاتهم الحياتية فأنت لن تكون الأول لأن هذا العالم مليء بالبشر الذين لا يمكن التغلب عليهم كلهم و لكنك تشعر بالرضا نوعا ما لأن هناك ثمة من سيكون دونك و أقل منك في تلك السباقات فأنت هنا تسابق لكي لا يقال لم يسابق و لا تسابق لأنك تريد أن تكون الفائز !. لهذا تجد أنك دائما تفكر " ما هو نصيبي من الأشياء ؟ " لأن حياتك كلها تعتمد على وجود أناس هم أقل نصيبا منك و ليس لأنك تبحث عن نصيب يؤهلك للفوز بشيء ما , و في النهاية لن تصل و لن تفوز و سيبقى دائما هناك من هو أعلى منك نصيبا و سيبقى دائما حزينا و قلقا و خائفا ... و قبل كل ذلك جاهلا بنفسك لا قناعة لك !!.

(22)

### عزف على الوتر الأعلى

لا يوجد لدينا هموم جماعية حقيقية نجتمع عليها ليس لأننا لا نجد هموماً أو لأننا لا نجد التواصل و لكن لأننا لم نصل في قناعاتنا الداخلية إلى مرحلة الفهم الحقيقي لأنفسنا كبشر لهم آمال مشتركة نراها دائماً تلوح في نظرات الآخرين عندما نلمسها بحديث عابر كنا نتحدث فيه عن أنفسنا و إذا به هو ذاته في أنفسهم , بنفس العمق و نفس النكهة !. لا يمكن لأي شخص لم يصل إلى مرحلة الإعياء من ممارسة " الهروب إلى الداخل " أن يفهم فعلاً تراكيب النفس البشرية التي تشكل " جذوة الطباع و الخيال الشخصي " و ما هي الروابط الحقيقية السامية التي يقبل الناس بكل ترحيب أن يدفعوا ثمنها وقتهم و ربة أعناقهم في تواصل و صداقة حقيقية !.

لا أذكر من الذين مروا على مخيلتي الدبقة إلا الأشخاص الذين شاركوني أصدق الأشياء على آخر حدود " الداخل " , الذين لمسوا " الهم الأعلى " في نفسي و كان لهم من الجرأة على التجربة أن رافقوني حيث ذهبت فعادوا و هم يحملون نفس المشاهد و نفس الأسئلة , و في النهاية " نفس الهم " ! . ليس سهلاً على كل أحد أن يكتشف الإنسان بداخله ليبدأ بعدها برحلة البحث عن الإنسان فيمن حوله . نحن غالباً نعيش الحياة بشكل تمرسي فنكتشف الحيوانات بداخلنا ثم نعود فرحين كل مرة , نكتشف الذئب العقور و الكلب المتملق هزاز

الذنب و الحمار الصبور القنوع و الثعلب الخبيث الماكر و الحمل الوديع ضحية الآخرين , و لكننا لا نكتشف الإنسان ! . لأجل هذا كله تجد أننا في مجتمعنا ننقسم على قدر أنواع الخصال الحيوانية في هذا المجتمع لتتحول إلى غابة كل شخص فيها يعيش بقناعة " الإنتقاء الطبيعي " القائمة على بقاء الأقوى و أنك كلما ملكت وسيلة أكبر للسيطرة على الآخرين ازدادت درجة في سلسلة النشوء و الإرتقاء في نظرية داروين حتى يخيل لبعض الناس أنه صار هو الآدمي الوحيد و بقية البشر ليسو إلا الحلقة المفقودة بين الإنسان و الغوريلا و ربما الغوريلا ذاته ! .

الفقراء و الأغنياء , الأصحاء و المرضى , الرجال و النساء و حتى المسلم و الكافر , يشعرون بالوحشة و الأنس و الخوف و الحب و الكره بنفس الطعم و نفس اللذة و الألم و كلهم له آمال آدمية يسعى لها , و عندما يلتقي أمثال هؤلاء في تجمع على الانترنت لا تكاد تميز بينهم في كتاباتهم , هناك أشياء كثيرة يستطيع الناس الاجتماع عليها حتى مع البهائم كالرفق و الصداقة و حسن العشرة و الشعور بالآخرين على نحو عاطفي شريف الرؤية يسمو فوق الحرص الشخصي البغض و البخل النفسي العنصري تجاه من يفتحون قلوبهم للآخرين بكل طيبة و شراكة بريئة من شوائب المكر و الخديعة و حب العلو في الأرض .

مشكلتنا أننا لم نعد نشعر مجاناً و لا نفكر مجاناً و لا نحب مجاناً , و لهذا صرنا نخشى عقدة التقمص الصوري في شخصيات الآخرين و نذكر دائماً أن الغراب عندما غنى فقد قوت يومه لثعلب كان يزعم أنه يريد تشنّف أذنيه بكل مكر بتغريد الغراب أسفل الشجرة ! , نحن نعيش أزمة اكتشاف لأنفسنا ليس إلا ! .

(23)

هايط لكي أراك

عندما تجلس في مجلس فترى الناس يضجون في كلام كثير تدرك تماما كم هو الإنسان مبذر و أحمق , فهذه الكلمات التي يقولها يقف خلفها نظام معقد من الأحاسيس و التذكر و الرسائل العصبية ما بين مراكز الذاكرة و الكلام و أعصاب اللسان و حركات الجسد و ملاحظة العينين لوجوه المخاطبين و آلاف العمليات التي هي غاية في الدقة و الحساسية و غاية في الحكمة الإلهية لهذا الكائن المسمى الإنسان , و لو وجد جهاز صناعي يدير كل هذه العمليات بهذه الدقة لأغلقت دونه الأبواب و لما سمح لأحد أن يستخدمه إلا في الغايات العالية الأهمية ! . و عندما عرّف الله نفسه بأنه " خلق الإنسان \* علمه البيان " كان يعلم سبحانه عظم هذا الشيء المسمى البيان ! .

ينتشر في مصطلحنا الشعبي أن الساكت إما أحمق أو جبان و يقولون عنه " مسكين و فيه سكنه ! " و السكنة مأخوذة من السكون أي أنه درويش على الصامت ! . المشكلة أن الناس يستمرئون ممارسة الكلام بكثرة مع أن الكلمة جاسوس سري يخرج من صميم عالمك لينقل للناس أسرار عالمك الداخلي و حقيقة قوة تفكيرك و تمييزك للأشياء و لكن بما أن هناك طبقات من الأعراف الطبيعية فهذا يخفف المسألة فتكون هذه الكلمة مزحة و تلك عابرة و تلك بلا قصد



و تلك و تلك و تلك حتى يتملص الناس من تبعات المعاني . و في هذا المجال و هذه المساحة من التلاعب تستشري كل الخصال الذميمة في البشر من النفاق و الهمز و اللمز و التصابي و التحذلق و الهلوسة , و لهذا نجد هذه المساحة المسماة بـ " عفو الكلام " مزدحمة بالبشر بشكل رهيب أما مناطق الكلام الجاد و المنضبط و الصادق الذي يخرج بكامل صراحته فتبقى بوارا قاحلة إلا من قليل من البشر "السكناويون" الذين يرون المشاركة في الحوار يشبه مضاربة في سوق الأسهم ! .

و عن تجربة شخصية وجدت أن كثرة الكلام تجعلك تخرج من نطاق المحسوب إلى نطاق اللامنطق و اللامعنى و هنا تجد نفسك كشخصية على مسرح لا يعرف صاحبها دوره الحقيقي في المشهد فيبدو أجوفا أخرقا غريب الأفعال و إن قبل بالاستمرار في مثل هذا الوضع فسينتهي به الأمر إلى حالة أراجوزية ستلازمه ثم تلتصق به لتقضي عليه و تنهي نكهته و طعمه و تجعله نكرة في مهب الريح يعيش في خضم مهزلة حفلة تنكرية صفراء فاقع لونها تقفز من حوله قرود أوباش الناس !.

و مهما كثرت دورات تدريبي " أطلق العملاق المقيد في داخلك " و التي تطلقه في محاضرة عابرة بحفنة دربهات مع أن الجربوع و ليس العملاق لا يمكن إمساكه و إطلاقه بتلك السرعة , فسيبقى الشخص مقيدا و لن يستفيد إلا تدريبي القص و اللصق فإدارة الذات تعتمد على معطياتها و عناصرها المكونة لها و لا أحد يستطيع معرفة تلك الأشياء المختلفة من شخص لآخر إلا الشخص نفسه . لهذا أعتقد أن الدورة الوحيدة الناجحة هي أن تعلم الناس كيف يفهمون أنفسهم و كيف يصنعون " النفعية " حتى من ضعفهم و خصالهم السيئة فيهم ليصلوا إلى حياة تطبيقية ناجحة و لكن طالما أننا نعيش على " ثقافة الهياط " و الشعارات الرنانة و المسلمات الغبية فسنبقى هكذا نشر كلامنا و أحاسيسنا و أفكارنا الرخيصة نشر الدقل على جواد المساكين !.

و على رأي المثل " انتظر يا عملاق إلين يجيك الربيع " !.

(24)

ما تسمعش كلام ماما

عندما كنت صغيرا كانت أمي تحتفظ بملابسي و رضاعتي و علبه الحليب خاصتي و حفاظاتي و جميع هذه الأشياء التي كانت تشكل ثروتي القومية حينها , فكنت أرى أمي رحمها الله هي أخطر إنسان على وجه الأرض و كنت أظن أنها هي التي تسير جميع شئون البلاد و العباد و أن علي أن اسمع كلامها . كبرت قليلا و صرت لا أحتاج للرضاعة و لا الحليب و لا الحفاظة فتغير مفهوم السيطرة أحادية القطب على المنزل و صرت أذهب مع أبي في السيارة و أمسك بمقودها أحيانا و نذهب سويا إلى البقالة فصرت على قناعة بأن أبي هو أخطر إنسان على وجه الأرض و أنه هو الذي يسير شئون البلاد و العباد و أن علي أن أسمع كلامه !! .

كنت أقيس قوة الرجال بطول شنباتهم ثم اكتشفت أن بعضهم يحلقها فراجعت نفسي في ذلك المقياس و صرت اشك فيه , و في يوم من الأيام أوقفنا شرطي المرور و أعطى أبي مخالفة موروثة و لأول مرة أرى أبي ضعيفا أمام شخص ما بحيث لا يستطيع أن يأمره و ينهاه فسألته عن الرجل

فقال : هذا الشرطي !! , و شيئا فشيئا علمت أن هناك شيئا اسمه الحكومة و أنها تخيف جميع الرجال بكافة أنواع شنباتهم و مختلف مقاساتها و أن أي شخص لا يجوز له أن يقطع الإشارة الضوئية لأنه يخشى الحكومة فصار لدي قناعة جديدة أن الحكومة هي أخطر شيء في العالم و أنها هي التي تسير شئون البلاد و العباد و أن علي أن أسمع كلامها !!! .

كبرت بعد ذلك و رأيت أخوتي يتابعون فيلم رامبو ! فعلمت أن هناك حكومة قوية و أخرى مثلها و هما أمريكا و الاتحاد السوفيتي ثم علمت أن أمريكا أسقطت الاتحاد السوفيتي و عندما رأيت أهلنا في فلسطين يقتلون و كل حكوماتنا لا تستطيع فعل شيئا لأن أمريكا تساند إسرائيل صار لدي قناعة أن أمريكا هي أخطر حكومة في العالم و أنها هي التي تسير شئون البلدان و العبادان و أن عليهم جميعا أن يسمعوا كلامها !!.

و في صبيحة يوم استثنائي رأيت قناة السي إن إن تضع على شاشتها عبارة " أمريكا تحت الهجوم !! " و رأيت أبراج التجارة و هي تنهار و وجه بوش يتلون من الخوف و العالم بأكمله يضطرب ثم علمت أنه يقف خلف هذا مجموعة من الشباب الذي قدموا من صحراء أفغانستان مع أنهم ليسو أخطر شيء في العالم و لا يسيرون شئون البلاد و العباد ! , و هنا علمت بأن مفهوم " طاعة الأقوى " مفهوم مختل و أن كل قوي قد يتحول إلى ضعيف في لحظة ما لمجرد أن تستغل إحدى نقاط ضعفه و فأدركت أنه ليس علي أن اسمع كلام من بيده القوة كشيء مسيطر على كل شيء و أن المبادئ التي تفرضها القوة لن تستمر طويلا و أن الأشياء الأجدر بأن " نسمع كلامها " هي الأشياء التي لا يستطيع أحد إسقاطها و لا تدميرها و مسحها من الوجود , و لو بحثنا عن هذه الأشياء فسنجدها المبادئ المقدسة و الصادقة و الفاعلة التي تبنيها الشريعة الإلهية و الحكمة و الرؤية الثاقبة , أما عدى هذه الأشياء فلا أحد يستحق أن تسمع كلامه !!.

المشكلة تكمن فيمن لا يستطيع الارتقاء على سلم " القوة و الطاعة " فبعضهم ما يزال يرى أمه هي الكل في الكل دون أن يكون له أي رأي مستقل و بعضهم يرى زوجته كذلك و بعضهم لو قالت له حكومته مت جوعا لظن هذا عمل حكيم لا ينبغي مخالفته ثم تجد هؤلاء " السميعة " يمضون حياتهم و هم تحت سلطنة الطرب السماعي في تصوف نقدي يشبه حال المتصوفة " السميعة أوي " و هم يدورون برؤوسهم و يقولون : حي حي حي حول قبر رجل ميت ميت ميت !!.

(25)

الدمج

الكتابة حاله من الفوقية في النظر إلى الحياة , حتى و إن زعم أهلها أنهم أقل الناس تكلفا و أكثر أهل الأرض رقة و حبا للشارع الفقير و أهله ! . ينظرون للحياة على أنها " ممارسة دون المستوى " و لهم في ذلك مبررات و تبريرات و أيضا بربرات ! . يشفع للكاتب جنوحه الفكري تجاه المعنوي و تجافيه عن الميكانيكي في موقفه المبادئ غير أنه يشبه النساء اللاتي يستهلكن من سرد التاريخ أكثر مما يصنعن و يلكن من الثقافة أكثر مما يمثلن و لازلت أرى في الكاتب نزعة أنثوية طباعية من حيث كثرة التشكي و الالتفات إلى المشاعر الخاصة بينما يميز شخصية الرجل أنه لا يقول ما في نفسه إلا قليلا ! .

يحسدني بعض الناس على الكتابة فتذكرت الطرفة السودانية الشعبية التي تقول بأن رجلا سودانيا وقع له حادث فأصيب بشلل أقعده الفراش فجاء له أصحابه يهنئونه على هذا الحال المريح فقال لهم بكل سعادة : " دي حاجة كرامة من عند ربنا ! تصدق خايف من الفرحة أقيف ؟!! " . و أنا أيضا أقول : " دي حاجة كرامة من عند ربنا تصدق خايف من الفرحة أعيش ؟ ! " . و لا أعرف

في الحقيقة قيمة ممارسة التجربة إن كانت اللذة كما يقول فرويد و دفع الهم كما يقول ابن حزم هي دافع كل حركة في الآدمي ؟ . اللذة شيء نستطيع الحصول عليه و لو حككنا ظهورنا بعرقوب بعير ميت ! . لهذا نجد أقل الناس حركة و ممارسة للحياة هم أكثر الناس شهوة و شهوانية لأنهم ينظرون للتجربة برمتها على أنها " بحث عن اللذة " و قد تكون اللذة رديف للنجاح فالحرامي يسرق و يخرج بمسروقاته و هو يشعر بلذة النجاح و الشرطي يلقي القبض عليه و هو يشعر بلذة القبض عليه و الكاتب يكتب هذه القصة و يشعر بلذة كتابة لذات الآخرين !! . فالقضية برمتها لذة واحدة لممارسات شتى لا غير , و حينها فلتأت اللذة من أي طريق جاءت و لتذهب الممارسات و تنظيراتها و شعاراتها و تراتيبها النسقية إلى الجحيم و هذا هو باختصار مبدأ الوجودية السارتية , أعتقد أنه واضح الآن , هي السعادة \ اللذة , و بأي ثمن هذا ن كان بعد هذا الفهم للأمور شيء سيبقى له ثمن ! . و عندما تجتمع الوجودية السارتية مع الشيوعية فسيصبح العالم أثيرا من اللذة يسبح فيه الجميع ! .

## (26)

### على الهامش الأعلى

كل إنسان في هذه الحياة إما أن يعيش مع نفسه أو أن يعيش مع الناس !.. إن عشت مع نفسك فأكثر مخيلتك ستكون من التصور و الوهم لأنك تتصور و تفكر و تناقش الأشياء و هي غائبة و أنت فقط من يمارس الحضور الحقيقي , سينشأ لديك شعور بأنك مراقب نوعا ما من كل شيء حولك , ببساطة لأن الشيء الذي تمارسه طيلة الوقت هو المراقبة !! , تفكر في كل شيء و كل شيء يأخذ من اهتمامك أكثر مما يستحق لأنك تصرف في التأمل وقتا أكثر مما يجب !, عندها ستعتقد في اللاوعي أن الأشياء تبادلك نفس الاهتمام و نفس كثافة المراقبة و هذا غير صحيح و لكنه سيخلق لديك شعورا رهابيا بغیضا أن كل شيء تمر به ينظر إليك و يقول لك أنه فكر فيك كثيرا !!!.

الجلوس طويلا مع النفس هو ورطة اختيارية , كما أنه " تورط بتنوع الأشياء " فالذي يمر على الأشياء سريعا يأخذ منها ما يوافق قراره السريع ثم يمضي بينما من يجلس و يجعل الاختيار بحد

ذاته شغلا شاغلا و هما يستحوذ عليه سيقضي كل الوقت و هو يعرض الأشياء و ينقدها واحدا  
واحدا ثم ينتهي به الأمر إلى الملل و السأم و عدم الرغبة في الاختيار أصلا !!.

هل تريد أن تعيش ؟

هل سأمت من عقلك ؟

لا تدقق !

لا تستغرق في التفاصيل !

لا تغص في الاحتمالات الكثيرة !

لا تحاول الشعور بالنهايات قبل الوصول إليها !

كل هذه الأشياء السابقة ستساعدك على " حب التجربة الحية " ..

هناك من يحب و هو لم يحب !

و يفشل و هو لم يفشل !

و يكتب و هو لم يكتب !

ثم ينتحر و هو لم ينتحر ...

و هنا تكون الخنفساء قد وصلت إلى قعر الحفرة !...!

و الخنفساء إذا سقطت في حفرة الرمل لا تستطيع الخروج مع أنها ستمشي كثيرا و تتعب كثيرا  
لكنها تترحل كل مرة بالحبيبات الصغيرة التي هي دقائق التفاصيل المختلطة من كل شيء !!.

و الخنفساء لديها فكر قوي و تخطيط ثاقب فهي تقف في حالة المطر على " أعلى هامش بين  
الجهات الأربعة " ..

تقف في النقطة التي تستطيع بسرعة و بكل سهولة أن تنتقل منها إلى أي جهة فلا يفوتها شيء  
من رذاذ مطر السماء . و عليك أنت أيضا أن تبحث لنفسك عن " أعلى هامش تقف عليه بين

كل الاختيارات و الجهات " بحيث لا يفوتك شيء من رذاذ الحياة " الحية " !.

هناك أناس إذا عطشوا حتى الماء يتخيلونه تخيلا ..

ثم يكتفون بذلك !!

فبئس القوم هم !!

